

الأب سامي حلاق اليسوعي



# قواعد الارشاد الروحي للمُرشد والمحسّر



دار المشرق



قواعد الإرشاد الروحي  
للْمُرْشِدِ وَالْمُسْتَرْشِدِ



الأب سامي حَلّاق اليَسوعِيّ



# قواعد الإرشاد الرّوحيّ للمُرشد والمحسّرشد



دار المشرق

لا مانع من طبعه

بولس دحدح

النائب الرسولي للآتين في لبنان  
جعيتا، في ٣/١٠/٢٠١٣

جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ٢٠١٤

دار المشرق ش.م.م،

ص.ب. ١٦٦٧٧٨

الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠

لبنان

[www.darelmachreq.com](http://www.darelmachreq.com)

ISBN 2-7214-5474-9

التوزيع: المكتبة الشرقية ش.م.ل.

الجسر الوطني - سنّ الفيل

ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

تلفون: ٤٨٥٧٩٣ (٠١)

فاكس: ٤٨٥٧٩٦ - ٤٩٢١١٢ (٠١)

Website: [www.librairieorientale.com.lb](http://www.librairieorientale.com.lb)

E-mail: [admin@librairieorientale.com.lb](mailto:admin@librairieorientale.com.lb)

E-mail: [libor@cyberia.net.lb](mailto:libor@cyberia.net.lb)

## ثلاث كلماتٍ وثلاثة معانٍ

ثلاث كلماتٍ شائعة في مضمار الاستعانة للنمو في الحياة الروحية: النصيحة؛ المرافقة؛ الإرشاد. ونقصد بالنصيحة ما يُعطى عادةً في إطار سرّ الاعتراف. حين يعترف التائب بخطاياها، ينصحه الكاهن ببعض الأمور ويوعيه كي يتجنّب ارتكاب الخطأ ثانيةً. بوجهٍ عامّ، هذه النصيحة محدودة بطرفين: بما قاله التائب؛ وبإطار الخطأ والإصلاح. الطرف الأوّل يفرض عليها ألاّ تتخطّى حدود ما قيل، أي لا تتناول عيوبًا أخرى لم يتمّ ذكرها في الاعتراف؛ والطرف الثاني يجعلها لا تتناول أمورًا صالحة يمارسها الشخص وعليه أن ينمّيها.

**المرافقة** تتمّ بطريقتين: في مجموعة أو فرديًا، وهي تتمّ عمومًا في إطار الرياضة الروحية أو ما يشبهها. يقوم دور المرافق في الرياضة الروحية بوجهٍ عامّ على:

١ - تدريب المتروّض على التأمل والمشاهدة التأملية إن لم يكن متألّفًا معهما، أي على أساليب صلاة غايتها الانتباه إلى الأحاسيس والمشاعر التي تنتاب النفس في أثناء الصلاة، كي يختبر المتروّض حضور الله في حياته اختبارًا شخصيًا، ويتلمذ ليسوع المسيح بعد أن تعرّف إليه بعمق في تأملاته فأحبّه.

٢ - المرافق شاهد لعمل الروح في نفس المتروّض. ففي

المرافقة، يلفت المرافق نظر المتروّض إلى عمل الروح فيه أثناء الصلاة، ويرفع معه آيات الشكر والتسبيح، ويُعينه بتوجيهاته كي يتخطّى مختلف أنواع العوائق التي قد تعترضه فتعطّل مسيرته نحو الله.

إذا كان هذا هو حال النصيحة والمرافقة، فما هو حال الإرشاد الروحيّ، وبمّ يتميز؟ هذا هو موضوع كتيبنا. سوف نركّز على الإرشاد الروحيّ ونبيّن أهدافه وسماته وشروطه، ما له وما عليه، وستفادى عمداً كلّ ما هو خاصّ بالنصيحة في سرّ التوبة أو المرافقة في الرياضات الروحيّة. لا شكّ في أنّ هذه الأعمال الثلاثة تتداخل في أكثر من جانب، وتتشابه بمقدار جعل كثيرين يستعملون كلمتي مرافقة وإرشاد روحيّ للتعبير عن الأمر نفسه، ويرون فيهما تعبيرين مترادفين. في حين أنّ الفوارق بينهما جوهريّة في بعض الأحيان، وعدم الانتباه إليها قد يخلّ بعمل هذا وذاك، كما سنرى لاحقاً، فيكون المرافق مرشداً أكثر منه مرافقاً في أثناء رياضةٍ روحيّة، أو أن يكون مرافقاً أكثر منه مرشداً في الحياة اليوميّة.

سأقوم في البداية بطرح الأسس: ما هو الإرشاد الروحيّ وما هي دواعيه. ثمّ سأنتقل إلى دراسة مفصّلة بعض الشيء تتناول شخصيّة كلّ من المرشد والمسترشد، وبعدها سأطرح مسألة كفيّة اختيار المرشد ودواعي التخلّي عنه وتغييره. وبعد ذلك، سأخصّص فصلين لعرض الإرشاد نفسه، وبعض الفخاخ الواجب تجنّبها.

أمّا الخاتمة فستحوي دراسةً كتابيّة في الإرشاد، ونصوصاً لآباء روحيّين من شأنها أن تغني القارئ في هذا الموضوع.

لقد اعتمدتُ في هذا الكتيب على أوراقٍ التي تحوي آراء وملاحظاتٍ جمعتها من هنا وهناك، وكثير منها بشكل رؤوس أقلام



أو ترجمةً لمقاطع أغفلتُ، حين قمتُ بها، تدوين المرجع، لأنَّ مشروعًا كهذا لم يكن ببالي. ولكنِّي شعرتُ بضرورته بعد أن كتبتُ سلسلةً من الكتيّبات بعنوان: «الحياة الروحيّة المبسّطة». فليعذرني القارئ إذا ما وجدني أستعين بمقاطع لغيري من دون أن أشير إليها. فهذا الكتيّب تجميع لأوراقٍ متناثرة، نسّقناها وربّتها وصنّفناها وأضفّتُ إليها من خبرتي في هذا المجال.



## الحياة الروحيّة في مرحلة البلوغ

- الإرشاد الروحيّ عمليّة تبدأ انطلاقًا من قرارٍ حرٍّ يتخذه شخص يريد ويرغب نقل حياته الروحيّة من السطح إلى العمق، ومن الشكل إلى المضمون. وحال الحياة الروحيّة كحال الحياة المهنيّة والفكريّة والفنيّة... إنّها تبدأ بالتعلّم. في البداية، على الشخص أن يقضي سنوات عدّة في تلقّي المعلومات واستيعابها والتمرّس عليها. وتُعطي هذه المعلومات عادةً في هيئة قواعد وقوانين محدّدة وواضحة لا تترك للشخص حيّزًا للإبداع. إنّها المرحلة الأولى التي يُسمّيها القديس بولس مرحلة الفاصر «فأقول إنّ الوارث، ما دام قاصرًا، فلا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَبْدِ، مع أنّه صاحبُ المالِ كُلِّهِ، لَكِنَّهُ فِي حُكْمِ الْأَوْصِيَاءِ وَالْوُكَلَاءِ إِلَى الْأَجْلِ الَّذِي حَدَّدَهُ أَبُوهُ» (غل ٤ : ١-٢).

- إلّا أنّ هذه المرحلة مؤقتة. «فَقَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْإِيمَانُ، كُنَّا بِحِرَاسَةِ الشَّرِيعَةِ مُغْلَقًا عَلَيْنَا مِنْ أَجْلِ الْإِيمَانِ الْمُسْتَظَرِّ تَجَلِّيهِ. فَصَارَتِ الشَّرِيعَةُ لَنَا حَارِسًا... فَلَمَّا جَاءَ الْإِيمَانُ، لَمْ نَبْقَ فِي حُكْمِ الْحَارِسِ» (غل ٣ : ٢٣-٢٥). حين يستوعب الشخص أصول إيمانه وقواعده ومتطلّباته، يصبح بالغًا. وإذا صار بالغًا يعيش بحسب إلهامات الروح. عندئذٍ تظهر أهميّة الإرشاد الروحيّ. هذا يعني أنّ الإرشاد الروحيّ هو للإنسان البالغ لا للطفل، ويفترض حياة إيمانيّة سابقة عاشها الشخص بطريقة أو بأخرى، واختبر من خلالها مدرسة الشريعة، ويريد الآن أن يتخرّج منها ليعيش حياة الروح.

## ثلاث طرائق للعلاقة بالشرية

• كثير من الناس يعيشون ويموتون وحياتهم الروحية في المرحلة الأولى، أي المرحلة المؤقتة، مرحلة الطفل القاصر. الإيمان المسيحي في نظرهم تطبيق حرفي لا يقبل المساومة لشرائع موضوعه منذ الأزل، وستظل على حالها بدون تغيير أو تعديل إلى الأبد. شريعة الحرف التي قضى يسوع حياته التبشيرية وهو ينتقدها وينقضها، وأسهب القديس بولس في رسائله يندد بها ويعلن أن عهدها قد انتهى مع تجسد الابن وموته وقيامته.

• وآخرون يختبرون عوائق هذه الشريعة، فيطالبون بتغييرها أو تعديلها باسم التطور ومواكبة العصر... هؤلاء أيضًا يريدون أن يظلوا في المرحلة الأولى، أي مرحلة القاصر. إنهم لا يتصورون حياتهم بدون قوانين معينة وقواعد وضوابط. وإذا يشعرون بوطأة الشريعة القديمة وهيمتها عليهم، لا يطالبون بالتحرر منها بل بتغييرها شكلاً ومحتوى. إنهم يريدون أن يظلوا عبيداً ويطالبون بتغيير السيد. يريدون أن ينتقلوا من استعباد الشريعة الأخلاقية إلى استعباد شريعة الجسد والأهواء.

• وفئة ثالثة تعي أن ما تلقته في طفولتها كان مرحلة أولى، مرحلة القاصر. والله يدعوها الآن للانتقال إلى المرحلة الثانية، مرحلة البالغ. ويتم هذا الانتقال بقرار حر يتخذه الشخص نفسه. إنه قرار الانتقال في الحياة الروحية من الشريعة إلى الروح. فمن يعي الأمر يشعر بإحساسين متناقضين: الرغبة من جهة والخوف من جهة أخرى.

أما الرغبة فمصدرها حركة الروح داخل الإنسان. حركة تحثه على التفتح وتدعوه إلى النمو. فالانتقال من حياة الطفل القاصر إلى

حياة البالغ عمل من أعمال الروح. أما الخوف فمصدره جهل الإنسان بطريقة العيش بدون شريعة واضحة، وخشيته من الضياع. ففي الماضي، كانت الشريعة تقول له: إفعل هذا إنّه حلال، لا تفعل ذاك فهو حرام. أما الآن فحياة الروح تقول له: كلّ شيء يحقّ لك، ولكن ليس كلّ شيء ينفعك. كلّ شيء يحقّ لك ولكن ليس كلّ شيء ييني (١ قور ١٠: ٢٣). عندما يسمع الإنسان البالغ روحياً هذا الكلام، يتساءل قلقاً: كيف أهندي إلى ما ينفعني وما ييني؟ ما هي الضمانة في أنني لا أخطئ في اختياراتي؟

حينئذ تبرز أهميّة الإرشاد الروحيّ للإجابة عن هذا السؤال. فالإرشاد لا يملّي قائمة ولا يضع تشريعات، بل يساعد الشخص على الإصغاء لصوت الله في داخله والانتباه لإيحاءات الروح الذي يقود نفس البالغ نحو الكمال، ويبين لها في كلّ ظرفٍ ما هو الاختيار الأفضل الذي ينبغي لها أن تختاره.

✦ يقول القديس أوغسطينس إنّ الخطيئة شوّهت مفهوم الحرّية، وبات الناس يعتقدون أنّها القدرة على الاختيار. في حين أنّ الحرّية الحقيقية هي تحرّر الإنسان من جميع الميول التي لا تساعده، أو تعيقه، في مسيرته نحو تمتين العلاقة بالله خالقه ومصدر راحته. «خلقنا لك يا ربّ، وقلبنا لن يرتاح إلّا فيك». فمرحلة البلوغ الروحيّ هي مرحلة الانتقال من حرّية الاختيار إلى حرّية العمل لمتين العلاقة بالله. والإرشاد الروحيّ يساعد على القيام بهذا الانتقال، وعلى تطوير إنجاز هذا العمل، من دون أن يهمل أيضاً حرّية الاختيار.

## سمات الإرشاد الروحيّ

⊕ إذا أردنا أن نحصر سمات الإرشاد الروحيّ، يمكننا إدراجها

في ثلاثة بنودٍ أوليّة :

- ① - الانتقال في الإيمان من السطح إلى العمق، ومن الشكل إلى المضمون، ومن الحرف إلى الروح.
- ② - مساعدة الشخص على الإصغاء لصوت إحياءات الروح في داخله، واكتشاف مشيئة الله في حياته، والشجاعة في اختيار ما ينفعه هنا والآن من أجل النمو.
- ③ - الانتقال من حرّية الاختيار إلى حرّية السير بدون عوائق، أو على الرغم منها، نحو الله.

⊕ إنَّ أفضل مضممار عمل للإرشاد الروحيّ هو الحياة اليوميّة. ففي اللقاء يروي المسترشد لمرشده الحياة التي يعيشها، التساؤلات التي يطرحها، الرغبات التي يتمنّاها، الصلاة التي يصلّيها، العقبات التي لا يستطيع أن يتخطّاها، المشاريع التي ينوي القيام بها، النعم الروحيّة التي يختبرها... فينصح المرشد مسترشدّه بعض النصائح ليساعده على :

- ① - أن يعرف نفسه أكثر، ويدرك حضور الله في حياته وطرائق تجاوبه مع هذا الحضور.
- ② - أن يتغلّب على ميوله الشريرة التي تظهر بأشكالٍ عدّة: أنانيّة، كبرياء، حقد، شهوات، لامبالاة...
- ③ - أن يتقدّم في علاقته بالآخرين وبالله وفي تتلمذه ليسوع المسيح.

بناءً على ما تقدّم، يمكننا أن نعطي تعريفاً أوليّاً للإرشاد الروحيّ: إنّه فنّ اقتياد النفوس تدريجيّاً من بداية الحياة الروحيّة إلى أسمى الكمالات المسيحيّة. نقول فنّ، لأنّ الإرشاد الروحيّ ليس علماً ندرسه، بل هو فنّ نمارسه، حتّى وإن تطلّبت الممارسة دراسة

أُولَيَّة . إِنَّهُ فَنٌّ لِأَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ الْفُطْنَةَ لِيَقُودَ جَمِيعَ النُّفُوسِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي  
لَأَجْلِهَا خُلِقَتْ ، أَلَا وَهِيَ اللَّهُ . وَعَمَلِيَّةُ الْاِقْتِيَادِ هَذِهِ تَخْتَلِفُ مِنْ  
شَخْصٍ إِلَى آخَرَ ، تَمَامًا مِثْلَ رَسَامِ اللُّوْحَاتِ الْجِدَارِيَّةِ فِي الْكَنَائِسِ .  
كُلُّ جِدَارٍ يَخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِهِ فِي الْأَبْعَادِ وَالْمَوَادِّ وَالِاتِّجَاهِ وَالْحَرَارَةِ  
الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا . . . وَالْفَنَّانُ مَدْعُوٌّ إِلَى الرَّسْمِ عَلَيْهَا ، وَأَنْ يَكَيِّفَ  
اللُّوْحَةَ مَعَ كُلِّ جِدَارٍ يَرَسُمُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ مَوْقِعِهِ وَظُرُوفِهِ ، لِيَمَجِّدَ  
نَاطِرَهَا اللَّهُ وَيُسَبِّحَهُ . هَكَذَا حَالُ الْإِرْشَادِ الرُّوحِيِّ . الْإِرْشَادُ يَبْدَأُ مَا  
إِنْ تَعَقَّدَ النَّفْسَ الْعَزِمَ عَلَى السَّيْرِ فِي طَرِيقِ الْكَمَالِ الْمَسِيحِيِّ ، وَعَلَيْهِ  
أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي جَمِيعِ مَرَاكِلِ هَذَا السَّيْرِ .





## تاريخ الإرشاد وضرورته

يا أبت، قل لي كلمة!

قبل أن نلج في موضوع الإرشاد، من المفيد أن نعرض بعض طرائق ممارسته في تاريخ الكنيسة. ولعلّ أغنى مرجع لهذا هو كتاب بستان الرهبان. ففي هذا الكتاب ترد قصص كثيرة عن إرشاد المتمرس في الحياة النسكية لتلاميذه سواء بالقول أو بالمثل. فكان كثيرون يقابلون الآباء الحكماء ويقولون لهم: «يا أبت، قل لي كلمة!» أي قل لي عبارة من روح إيماننا المسيحي تكون مفيدة لي، فاستنير بها وأهتدي أو أقوم بها سلوكي، أو أتقدم بفضلها في مسيرتي الروحية. ومن شدة إحساس التلاميذ بأهمية الجمل والعبارات التي كانوا يسمعونها من معلمهم الروحيين، جمعوها في مجلدات حملت عنوان: «أقوال الشيوخ».

إلى جانب زوّار الأديار والمترددين إليها من رجال ونساء بحثاً عن الإرشاد، مارس الإرشاد الروحي بين الرهبان بطريقة عُرفت باسم: كشف الأفكار. فبعد صلاة الغروب، يذهب الأبّاتي إلى غرفة ملاصقة لكنيسة الدير، فيتبعه راهب ويجلس معه ويروي له جميع الأفكار التي خطرت بباله في هذا النهار: الأفكار الصالحة والشريرة والتي لا تنتمي إلى هذه ولا إلى تلك. فإذا شعر الأبّاتي بضرورة أن ينصح الراهب بشيء يقوله له، وإن لم يشعر بصرفه بعد

أن يباركه. فيخرج الراهب ويقرع جريئًا عند الباب، فيخرج الراهب التالي من الكنيسة ويدخل حجرة الاسترشاد، ويكشف للآبائي عن أفكاره، وهكذا دواليك حتى آخر واحد في الدير.

حين ازداد عدد الرهبان، وصارت هذه العملية تستغرق وقتًا، بدأ رؤساء الأديار يتدبّون رهبانًا لمعوا في حياة الفضيلة، ليساعدوهم في سماع كشف الأفكار. وشيئًا فشيئًا، لم تعد هذه الممارسة يوميّة، وصارت أسبوعيّة أو نصف شهريّة أو شهريّة. وانتقلت الممارسة من الأديار إلى الرعايا، إذ كان الرهبان يتردّدون إلى كنائس المدن والقرى للوعظ وإرشاد النفوس، وبدأ بعض العلمائيين يلتزمون بمقابلة «أبيهم الروحيّ» بانتظام، فيكشفون له أفكارهم ويسمعون نصائحه.

هذه هي بدايات الإرشاد الروحيّ في تاريخ الكنيسة. صحيح أنّ الممارسة أفلّت في القرون اللاحقة، والممارسة تبدّلت فانحصرت في مضممار الخطيئة والتوبة، وتحولّ كشف الأفكار إلى فحص للضمير، لكنّ المبدأ ظلّ كما هو: النفس بحاجة إلى مرشد كي تتقدّم في حياتها الروحيّة.

## ضرورة الإرشاد

مما لا شكّ فيه أنّ بعض الناس وصلوا إلى القداسة بدون مرشدٍ روحيّ. ولكنّ بعضهم الآخر وصلوا إليها بنصائح مرشدهم الروحيّ وآرائه. فالإرشاد الروحيّ ليس ضروريًّا بضرورة حتميّة بل بضرورة الوسيلة. ما معنى هذا؟ الضرورة الحتميّة لا يمكن الاستغناء عنها. مثلاً، الطعام ضروريّ للعيش. إنّها ضرورة حتميّة. أمّا الطائفة فليست ضروريّة للسفر من سورية إلى إيطاليا. يمكنني أن أسافر مشيًا أو بالسيارة. فالطائفة إذاً ضروريّة بضرورة الوسيلة. بدون هذه

الوسيلة تصير العملية صعبة ومرهقة ومحفوفة بالمخاطر، وتزداد إمكانيات إخفاقها في الوصول إلى هدفها.

ليست لدينا أقوال صريحة وقانونية لمعارضتي الإرشاد الروحي في الكنائس الرسولية (الكاثوليكية والأرثوذكسية)، بل أكثر من ذلك، وصفت الكنائس الرسولية تعاليم بعض رافضي الإرشاد الروحي بالهرطقة<sup>(١)</sup>. فقد رفض هؤلاء الإرشاد، واحتكموا للروح القدس - أو للكتاب المقدس كما تفعل غالبية البروتستانت -، فتأهوا في الطريق وانساقوا وراء أهوائهم وهم يعتقدون أن هذا هو الطريق الذي يحثهم الروح القدس على سلوكه.

في حين لدينا أقوال كثيرة عن ضرورة الإرشاد الروحي. فالقديس برنردس يقول: «مَنْ يجعل نفسه معلّمًا لنفسه يصبح تلميذًا لغيبٍ». ويقول القديس فرانسوا دو سال: «ولماذا نريد أن نكون معلمين لأنفسنا في مسألة الروح إذا لم نكن كذلك في مسألة الجسد؟ ألا نعلم أن الأطباء حين يمرضون يلجأون إلى أطباء آخرين ليُعطوهم الدواء المناسب؟»<sup>(٢)</sup>. ويقول القديس برنردس: «لا أدري ما يفكر فيه الآخرون في هذا الشأن. أمّا أنا فأتكلم من الخبرة أنه أسهل عليّ وأضمن أن أقود آخرين كثيرين من أن أقود نفسي».

## الإرشاد الروحي ومعرفة الذات

تؤكد الخبرة أننا غالبًا ما نكون عميانًا في شأن أنفسنا، إذ نفتقر إلى المسافة التي تفصلنا عمّا نعيشه وعمّا نحن عليه كي نستطيع أن

---

(١) راجع في هذا الصدد الحركات الهدويّة في الكنيسة الكاثوليكية، الأب جوردان أومان، دليل لقراءة تاريخ الروحانية المسيحية في التقليد

الكاثوليكي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠١٣.

(٢) الحياة النقية، ١٨.

ننظر إلى الأمور من جوانبها كافة، ونطلق عليها حكمًا موضوعيًا. وبدون هذه المسافة لا نستطيع أن نقرّر قرارًا صائبًا. لذا، فإنّ الإرشاد الروحي ضروريّ ليجعلنا ننمو في معرفتنا كي نستطيع اختيار ما هو أنسب لنا. فالمرشد الروحيّ لا يتخذ قرارات بدلًا عتًا، ولا يجعلنا ندخل في قالب من السلوكيات أو الطباع، ولا يملّي علينا ما يجب أن نفعله، بل يجعلنا نتعمّق في معرفة أنفسنا كي نحسن التصرف والاختيار.

+ إنّ معرفتي لذاتي أمر أساسيّ في الحياة الروحيّة، لأنّها تؤدّي إلى معرفة الله. ما من أحدٍ يستطيع ادّعاء معرفة الله من دون أن يكون قد سعى إلى معرفة نفسه. وحياتي الروحيّة، كما قلنا سابقًا، هي تمتين علاقة المحبّة التي تربطني بالله. إنّها مسيرة نموّ. ولكي تستمرّ هذه المسيرة في نموّها ولا يصيبها اليأس أو خيبة الأمل، عليّ أن أكوّن فكرة عن نفسي، حدودي وخطاياي وضعفي، طباعي ومزاجيّاتي، كما صفاتي الحميدة ومزايائي، ودعوة الله لي، التي تعمل فيّ.

+ تقول القديسة تيريزيا الأفيليّة في يومياتها: «أضعت وقتًا طويلًا إذ لم أعرف كيف أتوجّه». لم ينقص هذه القديسة الذكاء ولا قوّة الشخصية. إلّا أنّ الوقت ضاع لافتقارها إلى مرشد روحيّ. فقد كانت حياتها الروحيّة تنمو وشخصيّتها تنمو والنداءات الداخليّة فيها تنمو. لكنّ غياب المرشد المناسب صعب عليها ملاحظة هذا النموّ وفي أيّ اتجاه يسير. فالمرشد الروحيّ يساعد الشخص على إدراك النموّ الذي يتمّ فيه، ويجعله ينظر إلى ذاته دومًا نظرة جديدة ومتجدّدة، نظرة إيجابيّة ترى جميع الأمور تعمل لخيره (روم ٨ : ٢٨).

قلنا إنّ هدف الحياة الروحيّة هو تعميق العلاقة بالله وزيادة

المحبة في النفس. ويتطلب هذا الأمر ثقة. والثقة ليست خلوداً مطمئناً كسولاً: «يا نفس، لك أرزاق وافرة تكفيك مؤونة سنين كثيرة، فاستريحي وكلي واشربي وتنعمي» (لو ١٢ : ١٩)، كما أنها ليست عيشاً في الأمل الباطل: «ستحدث معجزة وتنحل الأمور» أو ادعاءً: «لست بحاجة إلى أحد، فأنا أكفي نفسي بنفسي». الثقة إيمان بقوة النعمة. وهذا الإيمان يتطلب أن أعرف محدوديتي وضعفي وأتجاوزهما باستقبال دائم لرحمة الله وقوته الموجودة فيها، والمرشد يساعد على هذه المعرفة وهذا التجاوز من أجل استقبال النعمة الإلهية.

٤ إن بلوغ درجة معينة من معرفة الذات لا يعني أنني أستطيع حينها أن أستغني عن المرشد الروحي. وإنني أخطئ إذا اعتقدت أن الإرشاد الروحي هو للمبتدئين في الحياة الروحية، وأنه لأمر حسن، بل وضروري، أن أتمكن يوماً من الاستغناء عنه. فالإرشاد الروحي ليس عائناً لنموي بل هو دافع له. تقول القديسة تيريزيا الأفيلية في هذا الشأن: «كان رأيي وسيظل أن على كل مسيحي، إذا ما استطاع، أن يجتهد في فتح قلبه لمرشد مثقف. وكلما كان مُناراً كان أفضل. فمن يمارس التأمل يحتاج إليه (أي إلى المرشد) أكثر من غيره. وكلما تقدّمنا في الروحانيات علينا أن نلجأ إليه أكثر»<sup>(٣)</sup>.

⊕ ويضلّ آخرون إذ يختارون الروح القدس مرشداً لهم. لا شك في أن الروح القدس يعلمنا ويهدينا ويلهمنا؛ والمرشد الروحي لا يلغي دور الروح أو يحلّ مكانه، بل يساعدنا على استقبال إحياءاته بتميز. فالحياة في الروح قطار يسير على سكّتين: الصلاة والإرشاد

(٣) السيرة، ١٣.

الروحيّ. صحيح أنّ الروح يحرّنا، إلّا أنّ الحرّيّة هنا لا تعني الاستقلاليّة، بل الانتقال من العبوديّة إلى البنوّ. فالمسيح حرّنا وجعلنا أبناء الله وأحبّاءه. والبنوّ الحقيقيّة تتطلب ثقة واطاعة، أيّ تبعيّة للأب بالمحبّة.

## دواعي الإرشاد الروحيّ

✦ إنّ الطرق الروحيّة غامضة في بعض الأحيان. وقد تؤدّي قلة الخبرة وعدم المعرفة إلى ضلال سواء السبيل. فيمكن إذاً أن تكون خبرة الآخر لنا عوناً ونوراً، وأن تساعدنا على عدم الضياع. فالإقتداء بالمسيح يتطلّب تدريباً. ويحسن ألاّ نتدرّب عليه وحدنا، وأن نستفيد من مساعدة إخواننا، اللهمّ إلّا إذا منعنا كبرياؤنا واعتزازنا بأنفسنا عن ذلك، وهذا الكبرياء والاعتزاز بالنفس عائق في حدّ ذاته يعيق التقدّم الروحيّ، في حين أنّ التواضع عامل مساعد. بالإضافة إلى ذلك، نمّر في بعض الأحيان بفترات انقباض أو يأس أو ملل أو «ليل مظلم» أو صعوبة، ونحتاج إلى نصيحة أو حضور أو تشجيع... فيعرّضنا الانعزال حينها إلى الضياع، وقد يجعلنا ننسحب ونتخلّى عن المسيرة الروحيّة التي بدأناها.

✦ إنّ كلّ سعي إلى الله يتضمّن بعداً كنسيّاً. صحيح أنّ الحياة الروحيّة فرديّة، لكنّها ليست مسيرة منعزلة. ونزعة الاستقلاليّة خطر على الحياة الروحيّة. لا لأنّها قد تقودنا إلى الخطأ وحسب، بل لأنّها تعزلنا وتمنعنا عن النموّ في اتّجاهين ضروريّين: البعد البنويّ وما يتطلّب من تبعيّة، والبعد الأخويّ وما يتطلّب من مشاركة. ومن خلال المرشد، أشارك الكنيسة بالغنى الروحيّ الذي أناله، وتشاركني هي بما نالته من يسوع المسيح، فتعطيني الأسرار، علامة الشراكة مع الجماعة.

في هذا المجال، علينا أن نميّز بين الانطواء والاعتكاف. الاعتكاف هو المثل أمام الله وجهًا لوجه. إننا نفصل فيه عن كلّ ما يحيط بنا لنكون كليّةً لله؛ وهذا الأمر ليس سيّئًا. أمّا الانطواء فهو سلبيّ، لأنّه اكتفاء بالذات ورفض للشراكة والمشاركة، ويؤوّل إلى الانقطاع عن الله والآخرين.

وفي آخر الأمر، قد يتضمّن رفض اتّخاذ مرشد روحيّ رفضًا لاواعيًا لروح التجسّد. فالمسيح، وهو في صورة الله... أدخل ذاته، وأخذ جسدًا، وخضع لوالديه ومجتمعه وللشريعة ولطبيعة الجسد. حين يميل شخص إلى تدبير أموره بنفسه، يرفض ضمنيًا أن يُخضع مسيرته الروحيّة لحكم شخصٍ آخر. يقول القديس يوحنا الصليب في هذا الشأن:

✦ «يتمنّى الله أن يرى الإنسان مُدارًا وموجّهًا بوساطة إنسان آخر شبيه له، وبحسب العقل الطبيعيّ، ويريد بالحاح أن لا نشرح ما يعطينا إياه بطريقة فائقة الطبيعة أو لا نمُنحه ثقتنا الكاملة، ولا يكون لنا مصدر قوّة وأمان، إلّا بعد أن نجعله يمرّ من هذه القناة السريّة التي هي فم الإنسان. ففي كلّ مرّة يقول (الله) أو يكشف شيئًا للنفس، يفعله وهو يُمَيِّلُ هذه النفس لتنتقله إلى الشخص المناسب. فحتّى ذلك الحين، لم يعتد الله أن يهب النفس الثقة التامة بالوحي. فهو يريد أن ينالها الإنسان من إنسانٍ آخر شبيه به»<sup>(٤)</sup>.

## الإرشاد والاعتراف

سؤال يطرحه كثيرون: هل من الضروريّ أن يكون المرشد الروحيّ كاهنًا؟ يقول بعض الكتّاب الروحيّين أمثال جوردان أومان:

---

(٤) الصعود إلى الكرمل، الكتاب ٢، ٢٠.

نعم! ويلجئون على ذلك. لكننا نشهد اليوم تطوراً في الإرشاد الروحيّ بعد أن انفصل عن سرّ التوبة، فصار علمانيّون يمارسونه. لذلك فإنّ الإرشاد الروحيّ ليس وظيفةً حصريّةً للكهنة، خصوصاً وأنّ تاريخ الكنيسة، في الشرق كما في الغرب، يعجّ بأسماء قدّيسين وقديسات، مكرّسين وعلمانيّين، مارسوا الإرشاد الروحيّ وساهموا في تقدّيس النفوس من دون أن يكونوا كهنة (نسّاك الصحراء والرهبان الأوّلون وهم ليسوا كهنة، القديسون أفرام السريانيّ، فرنسيس الأسيزيّ، إغناطيوس دي لويولا قبل رسامته، والقديسات تقلا، كاترينا السبانيّة، تيريزيا الأفيليّة...). بالإضافة إلى أنّ القانون الكنسيّ لا يحصر الإرشاد الروحيّ بالكهنوت كما أشاع بعضهم معتمداً على القانون ٥٣٠. فهؤلاء لم يفصلوا بين وظيفة سماع الاعتراف ووظيفة الإرشاد الروحيّ، في حين أنّ القانون ٢٤٠ § ٢٨ يميّز بينهما.

«إنّ الراعي وكهنته الذين أوكلت إليهم رسمياً وظيفة رعاية النفوس في رعيّة ما ملزمون شرعاً بسماع اعترافات المؤمنين» (القانون ٨٩٢). لكنّ الإرشاد الروحيّ بمعنى الكلمة الحصريّ هو وظيفة مختلفة تماماً عن وظيفة سماع الاعترافات. لذلك ما من شريعة إلهيّة أو كنسيّة تفرض على أيّ كاهنٍ واجب قبول وظيفة الإرشاد الروحيّ. والكاهن حرّ على الدوام في أن يقبل أو يرفض وظيفة كهذه، حتّى وإن كان قبولها عمل محبّة رائعاً.

✦ لذلك من الضروريّ أن نشير إلى الاختلاف بين النصيحة في الاعتراف والإرشاد الروحيّ.

⊕ النصيحة في الاعتراف غايتها تقويم اعوجاج، أو تخطّي عقبة، في حين أنّ غاية الإرشاد الروحيّ هي اقتياد النفس إلى كمال



الحياة المسيحية، من دون أن تكون هذه النفس تعاني بالضرورة اعوجاجاً أو تواجه عقبة.

⊕ المرشد الروحي هو أساساً معلّم ومستشار ومرشد. أمّا المعرّف فهو يملك فوق هذا كلّ سلطاناً يستطيع بموجبه، وضمن حدود صلاحياته، أن يجبر التائب على تصرّف معيّن.

⊕ رسالة المعرّف الأساسية هي الغفران باسم الله. ولكي يفعل ذلك، يُضطرّ في بعض الأحيان إلى أن يجعل التائب في حالة يكون فيها الغفران شرعياً. أمّا المرشد الروحي فلا يملك سلطاناً كهذا، أو لا يمارسه في الإرشاد إن كان كاهناً. إنّه لا يستطيع أن يجبر المسترشد على شيء، اللهمّ إلّا إذا وعد المسترشد وبملاء إرادته أن يطيع مرشده.

إنّ هذا يثير سؤالاً وهو: هل من الأنسب أن يكون المرشد الروحي معرّف الشخص في الآن نفسه؟ الجواب: ليس بالضرورة، ولكنّه أنسب. فلا يمكننا أن نقول: ينبغي للشخص أن يعترف عند مرشده الروحي إذا كان هذا المرشد كاهناً، لأنّ الوظيفتين مختلفتان ومنفصلتان. بالإضافة إلى ذلك، يحدث أن يكون كاهن معرّفاً بارعاً وإنساناً فاضلاً، ولكنّه لا يمتلك الكفاءات الضرورية لإرشاد نفوس معيّنة. ويظهر هذا عمومًا في الأديرة الرهبانية، حيث يصعب على الكهنة الأبرشيين، الذين ليست لديهم خبرة في حياة الطاعة والفقير والحياة الجماعية، أن يفهموا معاناة راهب أو راهبة مع هذه الأمور. ويقال الأمر نفسه بالنسبة إلى المشكلات في الحياة الزوجية، التي يصعب على المتبتّل إدراكها أحياناً كما يدركها المتزوج.

ومع ذلك، وبسبب الصلة الحميمة بين وظيفتي المعرّف

والمرشد الروحيّ، يمكن أن يقوم الشخص نفسه بهما . ولهذا الأمر نتائج قد تكون إيجابية أو سلبية . حين يكون المرشد معرّفًا للشخص نفسه : ينال المرشد سلطة أعظم ؛ ويفقد المسترشد جزءًا من حرّيته تجاه مرشده . لأنّ الاعتراف يفرض على التائب البوح بكلّ شيء وطاعة ما يأمر المعرّف به، في حين أنّ الاسترشاد لا يفرض على المسترشد أن يقول كلّ شيء، ولا أن يطيع ما يُصَحّح به . ومع ذلك، يسمح دمج الوظيفتين بأن يعرف المرشد نفس المسترشد بوجه أفضل . على كلّ حال، تبيّن الخبرة أنّ الأمور تتمّ في الواقع ببساطة، خصوصًا حين يتمتّع المسترشد بالحرّية ويثق بمرشده<sup>(٥)</sup>، ولا تظهر السلبيّات المذكورة في ما سبق .

---

(٥) يظهر غياب الحرّية والثقة في الحالات التي يُفرضُ فيها مرشد معيّن على الأفراد سواء في أخويّة معيّنة، أو رهبنة، أو رياضة لمكرّسين، إلخ .

## كفاءات المرشد الروحيّ

+ ما من نموذج معيّن للمرشد الروحيّ، ولا شهادات كفاءة تُعطى لمن يريد ممارسة هذا العمل. فالقدرة على الإرشاد نعمة يهبها الله لبعض الأشخاص. إنّها موهبة من مواهب الروح القدس. وقد أشرنا إلى أنّ بعض الكهنة قد يتمتّعون بالقدرة على سماع الاعترافات، ولكن يُفضّل ألا يكونوا مرشدين. هذا يعني أنّه بالإضافة إلى الموهبة، هناك كفاءات معيّنة مطلوبة لوظيفة الإرشاد الروحيّ. بعض هذه الكفاءات أساسيّة للإرشاد الروحيّ كما هو؛ وبعضها الآخر مطلوب ممّن سيرشد. نسَمّي الأولى كفاءات تقنيّة، والثانية كفاءات أخلاقيّة.

### كفاءات المرشد التقنيّة

لعلّه ما من كاتبٍ أبرز كفاءات المرشد الروحيّ التقنيّة بوضوح شديد كما أبرزها القديسان يوحنا الصليب وتيريزيا الأفيليّة. فهي تقول إنّّه ينبغي للمرشد الروحيّ الماهر أن يكون متعلّمًا وفطنًا ومختبرًا. ويلجّ القديس يوحنا الصليب على مسألة الخبرة.

+ متعلّمًا

على معارف المرشد الروحيّ أن تكون واسعة. فبالإضافة إلى المعرفة العميقة للعقائد اللاهوتيّة، التي قد يتعرّض بدونها إلى الخطأ

في مسألة الإيمان وفي اللاهوت الأدبي، والتي لا يمكنه بدونها أن يقوم بوظيفته، على المرشد الروحي أن يعرف اللاهوت الزهدي والصوفي معرفةً واسعة. عليه أن يعرف مثلاً العقيدة اللاهوتية في مسألة الكمال المسيحي، وواجب الجهاد من أجل الكمال، وعوائق الكمال، وأنماط التنقية، ووسائل النمو الإيجابي في الفضيلة، وتدرّج النفس في علاقتها بالله. وعليه أن يعرف بالتفصيل درجات الصلاة، والمحن الاعتيادية التي يمتحن الله بها النفس حين تنتقل من درجات الصلاة الدنيا إلى درجاتها العليا، وأوهام الشرير وهجماتاته التي قد تواجهها النفس.

إنّه يحتاج أيضًا إلى أن يكون مطلعًا بقدر كافٍ على علم النفس، بحيث يفهم مختلف الطباع والشخصيات وتأثيرها في الشخصية البشرية، ودور العواطف في حياة الفرد. عليه أن يعرف على الأقلّ المبادئ الأساسية للأمور النفسية غير الطبيعية والأمراض العصبية، بحيث يتمكن من معرفة عدم التوازن العقلي والعصبي أو البلبلة العاطفية.

+ على الكاهن أن يدرك أنّه إن لم يكن كفؤًا في إرشاد نفسٍ معيّنة، فليصح الفرد بالذهاب إلى شخصٍ يملك المعرفة الضرورية. فالكاهن يتحمّل مسؤوليةً خطيرة أمام الله إذا حاول إرشاد نفسٍ في حين أنّ المعرفة الكافية تنقصه. ففي الآونة الأخيرة، ومع انتشار معرفة الأمراض النفسية الواسع، على الكاهن أن ينتبه بوجه خاصّ إلى ما يتعلّق بمضمار الطبّ النفسي وأساليب العلاج الخاصة به، ويدرك أنّه مجرد «إنسانٍ عاديٍّ» وليست لديه كفاءة علاج الأمراض النفسية. فإذا ارتاب من أنّ المسترشد يعاني مرضًا نفسيًا، عليه أن يوجّهه إلى طبيب نفسيّ، تمامًا كما أنّه ينتظر من الأطباء النفسيين أن يوجّهوا أصحاب المشكلات أو الحالات الروحية إلى كاهن.

إنّها أهمّ الكفاءات لدى المرشد الروحيّ. وهي تشمل ثلاثة عناصر أساسية: فطنة في الحكم، وضوح في الإرشاد، حزم في الطاعة الدقيقة.

إذا كان المرشد الروحيّ يفتقر إلى الفطنة، فهو يفتقر عادةً إلى عدّة فضائل أخرى أيضًا. فالفطنة تمكّن الفرد من التصرف بطريقة صحيحة في ظروفٍ معيّنة. ولا يهتمّ الإرشاد الروحيّ بعقيدة اللاهوت الروحيّ العامّة، ولا بالأوضاع النظرية التي يمكن أن يتخيّلها الشخص، بل بالنفس الموجودة أمامه وهي في وضع ملموس وفي زمنٍ معيّن أو في مرحلةٍ معيّنة من نموّها الروحيّ.

- لا يطلب الناس المرشد كي يتّخذ قراراتٍ في شأن العقيدة العامّة، لأنّهم يجدون الإجابات في أيّ كتابٍ عن اللاهوت الروحيّ. إنّ دور المرشد هو بالضبط التعرّف على الظروف الخاصّة في وضعٍ معيّن وإعطاء النصيحة الضروريّة في هذه الفترة. ولكي يكون النصّح فطنًا، ينبغي للمرشد الروحيّ أن يتمتّع بحبّ أن يضع نفسه في هذه الظروف الخاصّة، وأن يصبر في الإصغاء بانتباهٍ إلى المسترشد. ومن بين العوامل المتنوّعة التي تحارب الفطنة نذكر أشهرها: نقص في معرفة مختلف حالات الحياة الزهديّة والصوفيّة، نقص في فهم النفسيّة البشريّة، أحكام مسبقة في مسائل حيائيّة خاصّة أو في ممارسة تقويّة معيّنة (كأن يستهجن متعة المسترشد الروحيّة عند تلاوته للسبحه الوردية وعدم تذوّقه للتأمّل الفكريّ)، نقص في التواضع (كأن يرفض الإقرار بعدم قدرته على إبداء الرأي في وضع يستشير المسترشد به)، مبالغة في الرغبة بالحكم في الأمور أو تسرّع في الحكم.

- سمة الفطنة الثانية في الإرشاد الروحي هي وضوح الرأي المُعطى للمسترشد حول أنظمة السلوك المطلوبة في الكنيسة. فلكي يكون المرشد واضحًا في توجيهاته، عليه أن يمتلك فكرًا واضحًا، وأن يعبرَ دومًا عن نفسه بتعابير ملموسة ومحددة. فالمرشد لا يملئ السلوك الذي ينبغي الالتزام به، بل يقترح ذلك بوضوح وشرح مقتضب. فإذا شعر بترددٍ أو بعدم القدرة على إعطاء النصيحة، تطلب الفطنة منه أن يترث، ولا ضير في أن يقول للمسترشد: أمهلني، سأفكر في الموضوع.

- بالإضافة إلى ذلك، ينبغي للإرشاد أن يكون صادقًا على الدوام وصريحًا بدون أيّ تحيزٍ أو دوافع ذاتية. وإنه لخطأٌ جسيم إذا تفادى المرشد أن يزجج المسترشد مخافة أن يذهب هذا إلى مرشدٍ آخر. فالمرشدون الذين يهتمون شديد الاهتمام بجذب عددٍ كبيرٍ من الأتباع والحفاظ عليهم، يعرضون أنفسهم للفشل في الإرشاد الروحي. لا ينبغي للمرشد أن ينسى أنه يعمل في إرشاد النفوس باسم الروح القدس، وعليه أن يسعى جاهدًا إلى التعامل مع هذه النفوس بلطفٍ وتفهمٍ، وفي الآن نفسه بحزمٍ وصراحة.

- إذا كان على المرشد أن يحرص على ألا يتحوّل إلى شخصٍ يدير، فيلغي بذلك حرّية المسترشد وضرورة تحمّله لمسؤوليّة حياته، على المرشد أن يحرص أيضًا على ألا يتحوّل إلى شخصٍ يُدار. فبعض الأشخاص ماهرون جدًا في فرض طريقتهم على كلّ شيء، والمرشد معرّض لخطر الرضوخ لسلطانهم. لهذا السبب، حين يكون المرشد واثقًا بقراره والمسار الواجب سلوكه، عليه أن يعبرَ عن تفكيره بحزم لا يلين. وعلى المسترشد أن يقتنع بأنّ هناك أحد الاختيارين: إمّا القبول أو إيجاد مرشدٍ آخر.

على المرشد ألا ينسى أنّه لا ينبغي له أن ينصح النفس بما لا

يتوافق مع حالتها الحيائية أو دعوتها أو ظروفها الحالية. كأن ينصح راهبة متأملت بأن تختلط بالناس الخارجيين، أو كادحًا بأن يهمل عمله وأسرته من أجل خدمةٍ رسولية، أو شخصًا يعيل أهله بأن يدخل الدير. كما عليه أن يدرك أنَّ هناك ما يمكن طلبه من النفوس المتقدمة وهو ليس مطلوبًا البتة من النفوس المبتدئة؛ وأنَّ هناك ما يناسب اقتراحه على الكاهن أو الراهب لا على العلماني. إنَّ عدم مراعاة هذه الناحية لا يأتي بثمرٍ سوى إرهاب النفوس، وقد يدفعها إلى ترك طريق الكمال. لذلك هناك هوةٌ واسعة تفصل الحزم في تطبيق ما هو مطلوب والقسوة الزائدة التي تُشعر المسترشد باليأس.

#### + الخبرة

إنَّها إحدى أئمن الكفاءات التي يتمتّع بها مرشد روحيّ ماهر. فحتّى وإن لم يكن ممتازًا في المعرفة ويعاني بعض الخلل في الفطنة، فإنَّ الخبرة تساعده على تخطّي هذه العيوب. هذا لا يعني أنّه ينبغي لخبرة المرشد الروحيّ أن تنبع بالضرورة من حياته الروحية، لأنّه يستطيع أن يحصل على خبرة مفيدة من مراقبته للآخرين وإرشادهم.

من ناحية خبرة المرشد الروحيّ الشخصية، إذا تعلّقت المسألة بإرشاد مسيحيّ عاديّ، فإنّه يحتاج إلى ما هو أكثر بقليل من الخبرة التي يستطيع أيّ كاهن أن ينالها من وفائه في ممارسته وظيفته الكهنوتية. أمّا إذا تعلّق الأمر بنفوس متقدمة تعيش في مراحل صوفية في الحياة المسيحية فيُفضّل أن يمتلك المرشد نفسه بعض الخبرة في هذه المراحل السامية. فإن نقصته، يكفيه حسن فطنة مُرْهف مع معرفة كافية للمراحل الصوفية كي يؤدّي وظيفته بطريقة مقبولة.

لكنَّ الخبرة الشخصية وحدها لا تكفي لتجعل المرشد الروحيّ

في الكفاءة التي يرغبها. فهناك طرق عدّة يقود الروح القدس فيها النفوس إلى ذروة القداسة. وإنّه لخطأ جسيم أن يسعى المرشد الروحيّ إلى اقتياد كلّ النفوس في الطريق نفسه، وأن يفرض عليها خبراته الشخصية مهما كانت بالنسبة إليه، ومهما كانت نافعة له. على المرشد الروحيّ ألاّ ينسى أبداً أنّه أداة في يد الروح القدس، وأنّه ينبغي لعمله أن يخضع تماماً للروح القدس. فإن لم يفهم تنوّع الهبات الإلهية وتعدّد طرق الكمال، فأجبر جميع النفوس على أن تسلك الطريق نفسه، سيصير عائقاً حقيقياً لعمل النعمة في النفس<sup>(١)</sup>.

## كفاءات المرشد الأخلاقيّة

إنّ الكفاءات الأخلاقيّة الضروريّة للمرشد الروحيّ الماهر هي التقوى والحماس لتقديس النفوس والتواضع والنزاهة. ولأنّ قليلاً من الناس يمتلكون كلّ هذه الصفات، هناك أيضاً قليل من المرشدين الروحيّين الماهرين. ولكن لا ينبغي اعتقاد أنّ من لا يستطيع أن يجد مرشداً كاملاً لا يستطيع بلوغ الكمال. إذا رغبت النفس رغبةً شديدة في التقديس، وجاهدت بصدقٍ لتتعاون مع كلّ النعم التي يمنحها الله، لن تخفق في بلوغ القداسة حتّى وإن لم يمتلك مرشداً الروحيّ كلّ الكفاءات الضروريّة. لا شكّ في أنّ نفساً كهذه تستطيع أن تبلغ الكمال حتّى بدون مرشدٍ روحيّ. لأنّ المرشد الروحيّ لا يصنع القدّيسين؛ بل إنّ القداسة هي أساساً عمل الله وتعاون النفس. بيد أنّ الله من عادته أن يستعمل أضعف الناس ليكشف حكمته للعالم.

---

(١) يظهر هذا الخطر بوضوح في بعض الروحانيّات، إذ يفرض المرشد روحانيّته (ممارسة التأمل مثلاً، أو الصلاة اللفظيّة، أو تلاوة سبحة معيّنة) على المسترشد، حتّى وإن لم تكن هذه الروحانيّة من مذاقه الروحيّ.



## التقوى

من السهل أن نفهم ضرورة تقوى المرشد الروحي، ويلجّ القديس يوحنا الصليب كثيرًا على هذه الصفة<sup>(٢)</sup>. وعلى تقوى المرشد الروحي أن تكون مشبعة بحياةٍ مسيحيةٍ صادقة. عليها أن تتمحور على المسيح تمامًا، وأن تتوجّه إلى مجد الله الأعظم. بهذه الطريقة ينبغي للمرشد أن يتشبع بحسٍّ عميقٍ للبنوة بالتبني، فيستطيع أن يرى الله قبل كلّ شيءٍ أبًا محبًا. وعليه أن يمتلك عاطفةً حنونةً تجاه مريم أم الله وأمنّا. عليه أن يمارس الخلوات وأن يتجرّد عن أمور هذه الدنيا. فالمرشد الذي تحييه هذه المشاعر سيراتح تمامًا في إرشاد النفوس. إنّه سيفهم لغتها وسيتمكّن من التواصل معها. وستمنحه خبرته الشخصية لله وللأمور الإلهية فهما يعجز كلّ علم مكتسبٍ عن منحه. فلا شكّ في أنّ التقوى هي أوّل وأهمّ قاعدةٍ أخلاقيةٍ ينبغي لمرشد نفوسٍ ماهرٍ أن يمتلكها.

## الحماسة لتقديس النفوس

إنّ حرارة حماس المرشد الروحي لتقديس النفوس هو نتيجة طبيعية لتقواه. فالحماس هو شعور حبٍّ شديد. وحبّ الله يحثنا على العمل لنشر ملكوته في النفوس، وحبّ هذه النفوس يمكننا من نسيان ذواتنا بحيث لا نفكر إلّا في تقديس تلك النفوس في الله والله. هذا هو الحماس الذي حثّ القديس بولس على أن يصير كلًّا للكلّ ليربح الكلّ، ومنحه ذلك ودّا استطاع أن يتحد بوساطته مع الآخرين بكلّ كيانه في أفراحهم وأتراحهم وآلامهم (را. ١ قور ٩ : ٢٢). ففقدان حرارة هذا الحماس يجعل الإرشاد الروحي يفقد قوّته. الحماس يحفّز المرشد على المثابرة في بذل الجهود على الرغم من

(٢) نار الحبّ المتأججة، النشيد ٣.

جميع الصعوبات، وبدون الحماس يصير الإرشاد نيرًا ساحقًا.

ومع ذلك، يتعرّض الحماس دومًا لخطر التحوّل إلى تصلّب عنيد من شأنه أن يؤذي المسترشد. لذلك يجب موازنته مع الطيبة والطبع اللطيف. على المرشد الروحي أن يمتلك شعور ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح نفسه.

إذا كان المرشد شديد الصرامة وينقصه الصبر، سيجعل المسترشد يئأس وحتى يتخلّى عن جهده لتقديس نفسه. فالمرشد يحتاج إلى التعاطف خصوصًا في التعامل مع النفوس التي تتعرّض للتجارب بشدّة، فيصعب عليها أن تفتح قلبها للمرشد، أو هي بطبيعتها ضعيفة وغير مثابرة. لهذا السبب فإنّ طيبة المرشد ولطفه سيسمحان له بأن يكون أباويًا حقًا في جهده لزرع المسيح في النفوس التي أوكله الله بها.

## التواضع

+ يحتاج المرشد أيضًا إلى تواضع عميقٍ لثلاثة أسباب: أولاً إنّ الله يمانع المتكبرين ويمنح المتواضعين نعمته. ما قيمة كلّ المعرفة والحكمة البشريّتين إن افتقر الإنسان إلى التواضع؟ ثانيًا، يحتاج المرشد الروحيّ إلى التواضع كي لا يبالغ في ثقته بنفسه، ولا يندفع لحلّ المشكلات بدون تفكير. فالتواضع سيجعله يدرس ويتأمّل ويستشير آخرين أكثر علمًا منه، ويطلب خصوصًا نور الروح القدس. بهذه الطريقة سيتفادى كثيرًا من الأخطاء والحرص التي تحدث للمتكبرين الذين لا يشكّون في أنفسهم. ثالثًا، يجذب تواضع المرشد النفوس في حين أنّ الاعتزاز ينفرها. في هذا المجال أيضًا يقنّدي المرشد بالمسيح الذي قال عن نفسه إنّّه وديع ومتواضع القلب، وإنّه يسعى لتمجيد الآب.

## النزاهة

✚ وأخيرًا، ينبغي للمرشد أن يحبّ النفوس حبًّا منزّهًا، أي لا يسعى إلى إرشادها انطلاقًا من أيّ دافع لإرضاء الذات أو تعزية يريد أن ينالها، بل ليقودها إلى الله وحسب. يقول القديس أوغسطينس إنّ الذين يقودون قطيع المسيح وكأنّه قطيعهم وليس قطيع المسيح، يبيّنون أنّهم يحبّون أنفسهم وليس الله. فبوساطة هذا الحبّ النزيه يحبط المرشد تجارب كثيرة يمكنها أن تظهر في مشاعر الفخر والعواطف الحسيّة، وسيتمكّن من احترام حرّيّة النفوس التي يرشدها.

لقد قلنا إنّ المرشد والمسترشد يتمتّعان بحرّيّة تامّة. ولا احترام هذه الحرّيّة لا ينبغي للمرشد الروحيّ أن يُظهر أيّ تدمرٍ إذا تركت النفس إرشاده، كما لا ينبغي له أن يعتبر المرشدين الآخرين منافسين له أو أعداء. ولكي يحافظ على تجرّده ونزاهته، عليه ألاّ يقبل أيّ هبة، مهما كانت الظروف، مكافأةً على العمل الذي قام به لشخصٍ معيّن، ولا ينبغي له أن يفرض على هذا الشخص أيّ تضحية أو إمانة تعود بالنفع على المرشد، كأن يطلب من مسترشدٍ يفتش عن خدمةٍ يقدّمها أن يكتب على الكمبيوتر مخطوطاته. . .



## واجبات المرشد الروحي

بعد أن تكلمنا على صفات المرشد الروحي، يجدر بنا ذكر بعض الواجبات التي ينبغي للمرشد أن يلتزم بها أو يتمرس فيها. وهي تنقسم إلى قسمين: قسم يرتبط بحياته الداخلية وطباعه، وقسم يتعلق بطريقة تعامله مع المسترشد.

### حياة المرشد الداخلية

⊕ الصلاة. على المرشد الروحي أن يكون أولاً إنسان صلاة. فمن حياة الصلاة والعلاقة الحميمة بالله ينهل النعمة الضرورية لمساعدة الشخص الذي أمامه. والإرشاد الروحي الذي لا يتم في هذه الأجواء قد يكون عقيمًا أو دنيويًا صرفًا أو تقنيًا. الصلاة تساعد المرشد كي يعطي نصائح روحية، أي مملوءة بروح الله، لا نصائح عملية، أي مشبعة بروح العالم. هذا ما يميز المرشد الروحي من المرشد الاجتماعي. فالأول يساعد المسترشد على العيش بانسجام مع مشيئة الله، حتى وإن تطلب الأمر السير بعكس التيار السائد في المجتمع، في حين يسعى الثاني إلى مساعدة المسترشد على العيش بانسجام مع روح العالم، حتى وإن خالف التعاليم الإلهية.

+ الالتزام بتعاليم الكنيسة. على المرشد الروحي أن يكون ابن الكنيسة. فمن يعيش على هامش الحياة الكنسية ويعارض الكنيسة في تعاليمها، ويرفض طقوسها وعباداتها أو يتقدها، أو حتى

يستخفّ بها، ولا يكثرث بنموّها في وحدة الجسد، لا يستطيع إرشاد غيره إلى طريق الكمال. ولعلّ توصيات القدّيس إغناطيوس دي لويولا خير مثال على هذا الالتزام، وقد أدرجها في قائمة الشعور في الكنيسة المجاهدة:

«علينا أن نتخلّى عن كلّ حكم، ونحفظ روحنا متأهّبة ومسرعة في الخضوع في كلّ شيء... لأنّا الكنيسة المقدّسة بحسب تدرّج رتبها... أن تُثني على... الترانيم والمزامير والصلوات الطويلة في داخل الكنيسة... أن تُثني أيضًا على مراحل درب الصليب والمزارات والغفرانات واليوبيلات... أن نكون دائمًا مستعدّين، أمام أمر أنا أراه أبيض، أن أعتقد أنّه أسود، إن قرّرت ذلك الكنيسة بحسب تدرّج رتبها...»<sup>(١)</sup>.

+ التمييز. على المرشد الروحي أن يكون إنسان تميز. فالذي يفتقر إلى الرويّة والحكمة وبُعد النظر لا يستطيع أن يساعد غيره على رؤية ما يختبئ وراء الأمور اليوميّة الاعتياديّة. وحين نتكلّم على التمييز، لا نعني أنّ دور المرشد هو أخذ القرارات مكان المسترشد. ففي الاسترشاد يعرض المسترشد القضية التي تشغل باله، ويساعده المرشد من خلال أسئلته وملاحظات على أن يرى الأمور بزاوية أوسع، وأن يحكم عليها بموضوعيّة، وأن يتّزن في ردود فعله تجاهها.

## واجبات تقنيّة في الإرشاد

+ الحضور الكامل. على المرشد أن يكون متفرّغًا. كثير من الناس يعانون عدم تفرّغ مرشدهم لهم. إنهم ينتظرون شهورًا ليضربوا

---

(١) الرياضات الروحيّة، ٣٥٣-٣٧٠.

موعدًا يلتقونه به، ولا يستطيعون لقاءه إلا لمدة نصف ساعة تنقطع مرارًا بمكالمات هاتفية أو بأشخاص يقرعون على الباب... ربما نبالغ في هذا التصوير، لكن عددًا من الأشخاص يتذمرون من شعورهم بعدم حضور المرشد حضورًا كاملاً لهم في أثناء المقابلة، أو ظهور علامات النعاس عليه وهم يتكلمون... ومع ذلك، علينا قبول أن المرشد الروحي ليس مستعدًا لنا في أي وقت، ولا يفترض به أن يتفرغ لنا ما إن نطلبه. وقد يحدث أحيانًا أنه يؤخر موعد اللقاء عمدًا كي يُتيح لنا الوقت الكافي لعيش خبرة معينة.

✦ السرية. المرشد الروحي مجبر على حفظ السرية التامة في شأن ما أخبره المسترشد به، لا لأن كثيرًا منه يرتبط بالباطن بطريقة ما وحسب، بل لأن وظيفة الإرشاد الروحي تجربته عادةً على السرية. فواجب السرية مهم خصوصًا حين تتعلق المسألة بالنفوس المتقدمة التي اختبرت ظواهر فائقة العادة أو نالت مواهب فائقة الطبيعة. تقول القديسة تيريزيا الأفيلية في يومياتها: «يجب أن نوصيهم [المرشدين] بكتمان السرّ وحفظه كما يجب. أوصي بهذا لأنني تألمت كثيرًا من عدة أشخاص لم يحفظوا السرّ حين كلمتهم على تأملاتي. فكانوا يخبرون بعضهم بعضًا بما قلته لغاية حميدة بدون شك، لكنهم آذوني أذية شديدة»<sup>(٢)</sup>.

- عدم التدوين. لا يجب كتابة أي شيء سواء من ناحية المرشد أو المسترشد، لأنه يسهل على المسترشد تصوّر أن تقع هذه الورقة المكتوبة ذات يوم في يد شخصٍ مسيء، فيفقد هذا التصوّر حرّيته في الكلام والتعبير. من ناحية المسترشد، من الصعب عادةً الحكم بدقة على الخبرات الشخصية انطلاقًا من نصّ مكتوب. وحيث إن

---

(٢) السيرة، ٢٣.

جميع المعلومات المعطاة للمرشد يجب أن تُعطى شفهيًا، وخلافًا للمعرّف الذي يصدّق كلّ ما يعلنه التائب، لا يتوجّب على المرشد الروحي أن يصدّق كلّ ما يسمعه؛ ولا شكّ في أنّ لديه وقتًا يستطيع أن يفحص فيه الأمر ويسأل الشخص قبل أن يعبر عن رأيه.

+ الاستيعاب. على المرشد أن يكون قادرًا على استيعاب اختيارات مَنْ يسترشد لديه. فعلى سبيل المثال، خير مرشد لراهب أو لراهبة هو شخص يدرك بعمق معنى نذور الفقر والعفة والطاعة، حتّى وإن لم يكن راهبًا. وخير مرشد للمتزوّجين إنسان يدرك بعمق معنى الحياة الزوجيّة وأبعادها، حتّى وإن لم يكن متزوّجًا. فاستيعاب اختيارات المسترشد لا يعني أن يكون المرشد يعيش هذه الاختيارات، بل لعلّ عدم عيشها في بعض الأحيان يساعد على الحكم عليها بموضوعيّة أشدّ، فتكون النصيحة خالية من أيّ إسقاط شخصي.

+ «على من يبدأ أن يفحص جيّدًا ما الذي يفيدّه أكثر. لذا، فهو بحاجة إلى معلّم روحيّ، شريطة أن تكون لديه الخبرة. فإذا لم يكن المعلّم كذلك، قد يرتكب أخطاء كثيرة. إنّهُ سيقود النفس من دون أن يفهمها ولا أن يسمح لها بفهم نفسها. وإذا تدرك هذه النفس الاستحقاقات الكبيرة التي في الطاعة للمرشد، لن تجرؤ على الخروج عن الطريق المطلوب منها سلوكه. وقد التقيت نفوسًا كهذه وكانت مضطربة ومتألّمة بسبب عدم خبرة مرشديها، فأثارت فيّ الشفقة. والتقيت واحدة لم تكن تعرف كيف ستصبح. فحين لا يفهم المرشد هذه الأشياء الروحيّة، يؤلّم النفس والجسد في آنٍ واحد. إنّهُ يوقف كلّ تقدّم»<sup>(٣)</sup>.

(٣) تيريزيا الأفيليّة، السيرة، ١٣.



حين تتكلّم القدّيسة تيريزيا في هذا النصّ على الخبرة، فإنّها لا تعني الخبرة البشريّة المكتسبة من الحياة والمعاناة، بل الخبرة الروحيّة والنموّ اللّذين عاشهما المرشد ويعيشهما. إنّها خبرة السلوك في طريق الرّب. وهي لا تُكتسب بالمعرفة العقليّة لأسلوب تعامل الله معنا وبالقراءة وحسب، بل بالخبرة الشخصيّة التي يعيشها المرشد، والنموّ الذي يلاحظه في نفسه. فالله يعمل في كلّ نفس بطريقة فريدة. لكنّ اكتشاف وجوده وعمله يعتمد على حسّ معيّن يُكتسب وينمو لدى جميع الّذين يسعون إلى إقامة علاقة به. وبهذا الحسّ يستطيع المرشد أن يساعد المسترشد لديه على اكتشاف حضور الله ومشيّته، من دون أن يُسقط على الآخر ما يعيشه هو.

✦ اللطف في التصحيح الأخويّ. من المستحيل أن نحسب مقدار الأذى الذي يصيب النفوس بسبب تعامل المرشد معها بقسوة وخشونة في أوقاتٍ تحتاج فيه همم الأفراد المثبطة إلى مرافقة وثقة وتشجيع كي تتابع مسيرتها الصعبة نحو الكمال. ففي غالب الأحيان، ما من شيءٍ يحيي النفس أكثر من استقبالها بلطفٍ وتفهمٍ في حين أنّها تتوقّع من المرشد لومًا وتوبيخًا.

وفي السياق نفسه، على المرشد الروحيّ أن يعرف كيف يوحّد لطف الطبع مع واجب تصحيح خطأ المسترشد. فعلى الرغم من أنّ هدف الإرشاد الروحيّ إيجابيّ - أن يقود النفس إلى أعلى درجات الكمال - فإنّه لا يستطيع أن يصل إلى هذا الهدف بدون البعد السلبيّ ألا وهو استئصال العيوب. ولا يكفي أن يهتم المرشد بتصحيح الأخطاء الإراديّة وحسب؛ بل عليه أن يفتش عن الاستعدادات المسبقة للخطيئة الموجودة في الفرد ويفهمها ليعالجها. ومن هذه الاستعدادات: الاستعجال وعدم الثبات والسطحيّة والشهوات الحسيّة... إنّها تحضّر النفس لارتكاب مختلف الخطايا. أمّا

الأخطاء الإرادية فعلى المرشد الروحي ألا يسمح أبداً للفرد بأن يبرر سقوطه فيها فينسبها إلى طبعه أو بعض الظروف الخارجية، ولا يسعى إلى ضبطها.

## واجبات روحية في الإرشاد

- معرفة النفس التي يرشدها. ينبغي للمرشد أن يعرف المسترشد معرفة عميقة: شخصيته، طبعه، ميوله الحسنة والسيئة، عيوبه، ما يحبه وما يكرهه، قدراته وطاقاته. وينبغي له أن يعرف ماضي حياة الفرد، أقله في خطوته العامة، بحيث يعرف التجارب التي تتعرض لها نفسه، والوسائل المستعملة للتغلب على هذه التجارب، النعم التي نالها من الله، والتقدم في الفضيلة وما شابها، الاستعدادات الشخصية الحالية، شدة الرغبة في الجهاد من أجل الكمال، التضحيات التي يرغب القيام بها لبلوغ القداسة، والعوائق والصعوبات التي يواجهها في الزمن الحاضر.

- التوجيه. يُنتظر من المرشد الروحي أن يوجه الشخص الذي يرشده، بحيث يستطيع أن يتخطى عقباته وصعوباته بأفضل طريقة ممكنة. فغاية المرشد الروحي هي كمال الفرد، والمثالية هي أن يمكن الفرد من السير، وحتى التحليق، إلى ذروة القداسة. وكما هو حال أيّ استشارة، ينبغي للإرشاد الروحي أن يُعطى عند الضرورة فقط. إذا كان المرشد يهيمن على المسترشد بطريقة مفرطة، ويجعل هذا الشخص يأتيه من أجل قرارات أو أدونات غير ضرورية في بعض الأحيان وحتى حُرق، يزداد المسترشد ضعفاً وتبعيةً لمرشده. إنّه ليس أمراً غير اعتيادي أن نجد مرشدين روحيين ينتهكون هذه القاعدة الأساسية، فيطلبون أيّ صلاح يمكنهم أن يقوموا به إذ يجعلون أنفسهم محوراً لكلّ إرشادهم. والاستثناء الوحيد لهذه

القاعدة هو في حال التعامل مع النفوس ذات الوسائس أو الفضولية بإفراط. حينها، يلجأ المرشد إلى فرض الطاعة لأنّ هذا الفرض هو الوسيلة الوحيدة لمساعدة أشخاص كهؤلاء.

في مسألة النصيحة، يتطرّف بعض المرشدين فيجعلون أنفسهم مثلاً ويدعون المسترشد إلى الاقتداء بهم. ومرشدون آخرون يتطرّفون تطرّفًا آخر فيمتنعون عن الكلام على أنفسهم إطلاقًا مع المسترشد. إنّ هذين الموقفين خاطئان، والقاعدة هي: **أعطي من خبرتك مثلاً ولا تجعل خبرتك مثلاً**. حين يشارك المرشد مسترشده خبرةً شبيهة عاشها، يساهم في إزالة الحواجز الرسمية التي تفصل بين الاثنين، ويخفّف من حدة تراتبية العلاقة: مرشد - مسترشد، ويجعلها أقرب إلى الصداقة الروحية. والخبرة التي يشارك بها تكون بمثابة مثال توضيحي. فباحترام القاعدة المذكورة سابقًا: **«أعطي من خبرتك مثلاً ولا تجعل خبرتك مثلاً»**، لن يكون هناك مبرر لمنع المرشد من ضرب أمثلة من خبرته، في حين يُسمَح له بضرب أمثلة من خبرة آخرين. أليست المشاركة بالخبرات وشهادات الحياة طريقة راعوية تستعملها الكنيسة من أجل خير النفوس وتقديّمها الروحي؟

- **الالتزام بالحدود**. على المرشد أن يتفادى في إرشاده كلّ النقاط التي تثير الجدل في اللاهوت، وكلّ المسائل المبهمة. على إرشاده أن يعتمد على النقاط الأساسية التي يقبلها كلّ اللاهوتيين لا على تقوى خاصّة أو تمرين روحيّ، ربّما قويم تمامًا ويوصى به، ولكنه ليس من مذاق المسترشد، أو لا يلبي حاجته الحاضرة. فعلى سبيل المثال، لا يليق بمرشد أن يطلب من المسترشد تلاوة سبحة معينة، إذا كان هذا المسترشد متمرّسًا في التأمل الفكريّ. لكنّه يستطيع دومًا عرض ذلك كاقترح. وفوق هذا كلّّه، على المرشد أن يتفادى

أي كلمة أو فعل يمكن تفسيره بصفته عدم موافقة أو ازدراء لأي مدرسة روحية أخرى تقر الكنيسة بشرعيتها.

في مجال الالتزام بالحدود، يمكننا أن نشير إلى مسألة حرجة وهي طرح الأسئلة. هل يجوز للمرشد أن يسأل عن أمور خاصة؟ من الصعب إعطاء جواب محدد. ففي بعض الأمور، يستطيع المرشد أن يسأل لتوضيح الصورة في ذهنه. ومن حقّ المرشد أن يعتذر عن الإجابة، وعلى المرشد أن يلفت انتباه المرشد إلى هذا الحق: «سأطرح عليك سؤالاً ويمكنك أن تعتذر عن الإجابة إن شعرت بالإحراج». على كلّ حال، يعود إلى المرشد تقدير الحالة: هل السؤال تدخل زائد في حميمية المرشد أم لا! ولدرجة افتتاح المرشد على المرشد دور مهم في هذه المسألة. كلما ازداد الانفتاح، خفّ الحرج من الإجابة عن الأسئلة.

4 التركيز على الحياة الداخلية. حين يتناول الحوار في الإرشاد تأمل المرشد لكلمة الله، يميل المرشد عمومًا، خصوصًا إذا كان في بداية مسيرته الروحية، إلى طرح أسئلة عن معاني الآيات. فالنفس تميل عادةً إلى التفكير في النصّ بدل تأمله وترك نعمة الله تعمل فيه. وينتج من هذا التفكير تساؤلات حول آيات غامضة المعنى. والنصيحة التي تُعطى للمرشد: تفادَ قدر الإمكان الإجابة عن الأسئلة، واجعل المرشد ينتبه أكثر إلى الأحاسيس الداخلية التي تتولد فيه حين يتأمل كلمة الله. وإذا اقتضت الحاجة، لا تسهب في شرح معاني الآيات، ونبه المرشد إلى ضرورة الانتباه إلى ما يختبره بداخله في تأمله، بدل تشغيل العقل لتفسير الآيات.

- تشجيع النفس. قليل من النفوس، حتّى المتقدمة، تكتفي بذاتها ولا تحتاج إلى تشجيع. والمرشد الروحي لا يُدعى لإعطاء

توجيهاتٍ أو حلّ مشكلات وحسب، بل هو مطلوبٌ ليكون مربّيًا حقيقيًا يساهم مساهمةً إيجابيةً في التكوين الروحيّ للنفس التي في عهده. وفي بعض الأحيان، أفضل طريقة للمساهمة في هذا التكوين هي التشجيع والتحفيز: لا تخف؛ لا تيأس؛ ثابر؛ أعد المحاولة... لذلك ينبغي للمرشد أن يبذل الجهد كي يفيض في النفس تفاؤلًا مؤسسًا على الثقة بالله وعدم الاعتماد على الذات. وعلى النفوس أن تدرك أنّها مدعوة فرديًا إلى الكمال، وأنّها تستطيع أن تبلغه إذا ظلّت أمانة للنعم التي يمنحها الله إيّاها. فإذا أخفقت أو يئست، يُنهضها المرشد ويجعلها ترى أنّ بأسها من إخفاقها يؤذي حياتها الروحية أكثر من إخفاقها نفسه.

ـ مراقبة حياة المسترشد الروحية. يحسن بالمسترشد ألا يخطو خطوة مهمّة في حياته الروحية بدون استشارة مرشده الروحيّ. وعلى المرشد أن يراقب أمورًا كثيرة عند الحاجة: نمط حياة المسترشد، منهج صلاته، ممارسته للتقوى، ممارسته للإماتات، عمله الرسوليّ، موادّ فحص الضمير... وفي الآن نفسه، ينبغي للمرشد أن يحدّد نفسه حصراً بما يخصّ نموّ النفس في القداسة. وأن يتنبه كي لا يصير نيرًا على المسترشد من خلال فرض سلطته في أمورٍ وخيمة العواقب أو لا ترتبط بالحياة الروحية.

• وفي السياق نفسه، عليه ألا يسمح للمسترشد بإدراج شؤونه العائلية أو أعماله التجارية أو انشغالاته البشرية في المقابلات أو اللقاءات إلّا إذا اقتضت ضرورة المشاركة الروحية ذلك. وحين يلاحظ المرشد أنّ المسترشد بدأ يتحوّل عن المسألة التي تخصّ حياته الروحية، عليه أن ينهي هذا النقاش مباشرة. ولتفادي أيّ نوع من هذا الاستطراد، على المرشد الروحيّ أن يسيطر دومًا على الحوار، وأن يتنبه كي تتمّ مناقشة جميع الأمور بإيجاز وبشكل مباشر

قدر الإمكان. فإذا حدّد للفرد، منذ بداية الإرشاد الروحيّ، إطار مناقشة المسألة المطروحة، سيتفادى إضاعة كثير من الوقت الثمين، ويحمي الإرشاد من الانزلاق في حوارٍ تقيّ أو التحوّل إلى زيارة اجتماعيّة صرفة.

- الإرشاد بمراحل تدريجيّة. على الإرشاد الروحيّ أن يكون متدرّجاً ومتكيّفًا مع درجة فضيلة النفس وطبعها وعمرها وظروف حياتها. فإذا لم يراع الإرشاد حاجات النفس وقدراتها، ستبسط همّة هذه النفس وتيأس لأنّ المطلوب منها يفوق قدرتها على فعله. ومن ناحية أخرى، إذا ظلّ الإرشاد على مستوى معيّن، ولم يحثّ النفس على التقدّم، ستُقصّ أجنحتها ولن تحلّق نحو الله.

لذلك ينبغي للمرشد أن يميّز ما هي حاجات النفس في وقتٍ معيّن، ويحرص على أن يلبي بإرشاده هذه الحاجات. وحين يتميّن أن يحثّ النفس على التقدّم روحياً، عليه أن يقترح أشياء بوساطة جهدٍ ينبغي بذله أو اختبارٍ، ليرى كيف يكون ردّ فعل النفس. فإذا رأى أنّ النفس تجاوبت إيجابياً، شجّعها على المتابعة. وإذا رأى أنّها تعرقلت، أعادها إلى حيث كانت. فالنموّ في الحياة الروحيّة يشبه باقي أنواع النموّ؛ عليه أن يكون تدريجياً ومستمرّاً.

- الانتباه إلى نموّ النفس أو سكونها. على المرشد الروحيّ أن يعرف مختلف مراحل النموّ في الحياة الروحيّة، وأن يتوقّع بتعامله مع الأفراد أنّه لا ينبغي لهؤلاء أن يبقوا ساكنين في أيّة مرحلة معيّنة، بل عليهم أن يتقدّموا بالتدرّج من مرحلة في الحياة الروحيّة إلى مرحلة أخرى. إنّ هذه النقطة في غاية الأهميّة. كثير من المرشدين يكتفون بأن تكون أمور مسترشديهم على ما يرام، حتّى وإن كانت حياتهم تدور في حلقة فارغة: لا جديد تحت الشمس. فيظلّون على

هذا النحو سنوات طويلة. وبالتالي، يصبح المسترشدون عاجزين عن سماع نداءات الروح التي لا تكفّ عن دعوتهم إلى التحرك من الداخل وإلى التجدد الدائم. حين يلبي المسترشد دعوة الروح هذه، يعيش حياةً روحيةً حقيقيةً، حياة تقرأ علامات الأزمنة، وتلبي حاجات الملكوت هنا والآن، حياة تخرج دومًا من فخّ التوقع على الذات بمختلف أشكاله لتفتح على العالم وعلى الله.





## ما يجب أن يتمتع به المُستَرشد

بما أنَّ الإرشاد الروحيَّ يتعلَّق بشخصَيْن، فإنَّ نجاحه لا ينحصر في امتلاك المرشد كلَّ الصفات الضروريَّة وفهمه لغاية الإرشاد الروحيَّ ووظيفته. فهناك أيضًا شروط مطلوبة من النفس التي تتلقَّى الإرشاد الروحيَّ. وتنبع هذه الشروط قبل كلِّ شيءٍ من طبيعة الإرشاد الروحيَّ نفسها، وثانيًا من علاقة المسترشد بالمرشد. وبدونها لا يأتي الإرشاد بالثمر المرجوَّ منه، بل قد لا يأتي بالثمر إطلاقًا.

### الصدق

+ الصدق هو أوَّل الصفات وأهمِّها، وبدونه يستحيل أن يكون هناك إرشاد روحيَّ. على المرشد الروحيَّ أن يعرف كلَّ شيءٍ: التجارب والضعف، الرغبات والمقاصد، الميول الصالحة والشرِّيرة، الصعوبات والجهود، النجاحات والإخفاقات. إذا كان على المرشد أن يقود النفس إلى كمالٍ أعظم، وأخفى المسترشد عليه هذه الأمور أو بعضها، فإنه يضعه منذ البداية في الطريق الخاطئ. ولن تكون لنصائحه جدوى، هذا إذا لم ينتج منها مفعول سلبيّ.

- على المسترشد أن يكشف للمرشد كلَّ ما له علاقة بالحياة الروحيَّة، ولكن لا داعي، بل ومن المبالغة، إعطاء رواية مفصَّلة عن

أحداث ثانوية أو تافهة عن حياته، كأن يروي بالتفصيل وبالأسماء والأماكن والتاريخ خبرة عاطفية مؤلمة عاشها. عليه أن يكشف فقط المشاعر التي انتابته أو تتابته، وعلى ما يُكشَف أن يُكشَف بكلِّ صراحة وصدق، بدون أن يتغاضى المسترشد أو يبرّر أخطائه أو يبالغ بفضائله، كأن يذكر للمرشد أعماله وطباعه بمديح وتبأ، ويذكر عيوبه بتبرير يلقي اللوم على الآخرين.

ليس من السهل إسرار شخص ببعض أمور الحياة الباطنية، أو بعض الميول السلبية في الشخصية. ومع ذلك، فالشفافية ضرورية جدًا حتّى وإن أدخلت المسترشد في صراع. يقول القديس فرانسوا دو سال: «تكلّموا معه (المرشد) بقلب مفتوح وبمتمهى الصدق والأمانة، وأظهروا له بوضوح الخير فيكم والشر من دون موارد أو إخفاء... ثقوا به ثقة تامة ممزوجة باحترام مقدّس بحيث لا يقلل الاحترام الثقة، ولا تمنع الثقة الاحترام»<sup>(١)</sup>.

+ فخصب الإرشاد يرتبط ارتباطًا شديدًا بثقة المسترشد بالله، وخصوصًا بحضوره في هذا الوسيط ومن خلاله، إذ جعله في طريقه. إلّا أنّ الثقة بالمرشد لا تنفي الصراع الداخلي بسبب المخاوف والجروح. صراع بين الكشف بشفافية والتورية.

وتشتدّ حدّة هذا الصراع كلّما كان الموضوع حساسًا، إذ يتتاب المسترشد شعور أنّه يتعرّى أمام مرشده. فلا داعي إذاً للقلق إذا ما شعر المسترشد بأنّ هذه الصعوبات والمخاوف تعيق رغبته في الانفتاح على شخص آخر. إنّ أمر طبيعيّ. وليسأل الله نعمة روح الثقة البنوية، لأنّ هذه النعمة، كما هو حال كثير من النعم، لا تُعطى هباءً بل تُعطى لمن يتوق إليها ويطلبها بشوق.

(١) الحياة النقية، ٣.

## الطاعة

+ لا يملك المرشد أيّ سلطانٍ يخوّله لأن يطلب من المسترشد الطاعة الكاملة. فالإرشاد الروحيّ مسألة حرّيّة تامّة لكلا الطرفين: المرشد والمسترشد. وبما أنّ المسترشد يطلب مساعدة المرشد، فإنّ كليهما ليسا على قدم المساواة. المرشد في وضع أعلى لأنّه معلّم ومرشد.

- حين يضمن المرشد أنّ المسترشد أتاه بملء حرّيّته، ويطلب مساعدته بصفاء نيّة<sup>(٢)</sup>، من حقّ هذا المرشد أن ينتظر من المسترشد المرونة والطاعة. فإن غابت هاتان، غاب معهما الإرشاد الروحيّ. على المسترشد أن يطيع ببساطة بعد الحوار في الموضوع ومناقشته. وتجدر الإشارة إلى أنّ النفاق أسوأ من عدم الطاعة. لأنّ المسترشد قد ينال به حظوةً عند المرشد فلا يطلب هذا منه إلّا ما يريد هو أن يفعله. الطاعة مهمّة، ولا يخالفها المسترشد حين يكشف ضميره ويشير إلى صعوبةٍ معيّنة أو عوائق ربّما لم يرها المرشد.

هناك أشخاص يندرون بأن يطيعوا مرشديهم الروحيين في كلّ شيء. ما الذي يمكننا أن نقوله في نذر كهذا؟ بوجه عام، لا يُنصَحُ بإبراز هذا النوع من النذور بسبب المساوي المرتبطة به (مسؤوليّة زائدة تُلقَى على عاتق المرشد، قلق المسترشد، سلبية زائدة، زيارات ومقابلات غير ضروريّة). على كلّ حال، لا ينبغي للمرشد إطلاقاً أن يبادر ويقترح على المسترشد أن يندر له الطاعة، فهذا تعسّف في استعمال السلطة والوظيفة. والتعسّف الأبعث حين

---

(٢) هناك مَنْ يُفرض عليه الاسترشاد والمرشد، خصوصاً في الإكليريكيّات والرهبات، وهناك مَنْ يسترشد عند فلان للتباهي، أو لغايةٍ في نفس يعقوب.

يضيف المرشد إلى نذر الطاعة وعدًا بعدم تغيير المرشد أبدًا وعدم استشارة أي شخص آخر سواه.

ولكن إذا طلب المسترشد بملء حرّيته ومرارًا إذن إبراز نذر الطاعة للمرشد (من أجل مزيد من الاستحقاق)، يمكن السماح بذلك ضمن الشروط التالية: (١) أن يتمّ النذر لفترة قصيرة ويتجدّد إذا رغب المسترشد ذلك؛ (٢) أن يكون من يبرز النذر إنسانًا طبيعيًا تمامًا وهادئًا ومترنًّا؛ (٣) أن يُطلّ النذر عند ظهور أي صعوبة أو وسواس.

• ما الذي يمكن عمله إذا ظهر تضارب بين توصيات المرشد الروحي وشخص يرتبط به المسترشد شرعًا كالزوج أو الأهل أو رئيس دير؟ على المسترشد أن يطيع ذلك الشخص بدون تردّد، حتّى وإن كان قد أبرز نذر الطاعة للمرشد. وتجدر الإشارة إلى أنّ النذور الخاصّة التي يبرزها الرهبان باطلة إذا لم ينالوا قبلها إذن رؤسائهم. وحتّى إذا نال الشخص إذن رئيسه بأن ينذر الطاعة لمرشده، لا يفقد الرئيس أبدًا سلطته على مرؤوسه التي نالها بموجب النذور الرهبانيّة.

## المثابرة

٤ حين يختار المسترشد مرشدًا، لا يغيّره لأيّ سببٍ كان. لا شكّ في أنّ العلاقة قد تمرّ في فترات صعبة. وقد تعترضها عوائق. وقد تبدر من المرشد تصرّفات أو يقول كلمات تشعر المسترشد بالاستياء. لكنّ الوفاء لا يبرهن عن نفسه إلّا حينها. إنّ الوفاء لعطيّة الله. كما يتجلّى الوفاء في الاكتفاء بمرشد واحد. فهناك من يتلذّذون بالتنويع. وإذا نهج كلّ مرشد نهجًا مختلفًا، يتيه المسترشد بدل أن يستنير. فيكون حاله أسوأ ممّن لا مرشد له.

إنَّ الإرشاد الروحيَّ يتطلَّب أن يثابر المسترشد في طلب مساعدة المرشد وإشرافه . ويصبح الإرشاد عقيماً حين يغيَّر المسترشد مرشده باستمرار، أو لا يرى مرشده لفترةٍ طويلة، أو يغيَّر على الدوام التمارين الروحيَّة ووسائل التقديس، أو يستسلم لتقلَّبات اللحظة بدل أن يتبع التعليمات التي نالها من مرشده . حين يكون هناك مبررٌ جادٌ لتغيير المرشد، لا ينبغي للشخص أن يتردَّد في البحث عن مرشدٍ جديدٍ، ولكن يجب ألا يحدث هذا إلا بعد عمليَّة تمييز يُنظر فيها إلى الأسباب الداعية لتغيير المرشد وهل هي ذات قيمة أم لا . وهذا يختلف تمامًا عن التقلُّب وعدم الثبات اللذين يظهران لدى بعض الأشخاص حين ينتقلون من مرشدٍ إلى آخر لأبسط الأسباب .

## السريَّة

- على المسترشد ألا ينسى أنَّ واجب السريَّة مفروض على المرشد وعلى المسترشد . فعليه ألا يبوح للآخرين بالتحذيرات أو التوصيات التي نالها من مرشده، لأنَّ النصيحة المعطاة لشخصٍ معيَّن وفي ظروفٍ معيَّنة قد لا تصلح لأشخاصٍ آخرين يعيشون في ظروفٍ أخرى . وقد يعاني المرشد كثيرًا من نتائج عدم كتمان مسترشديه، وهو سبب كافٍ كي يوقف المرشد إرشاد شخصٍ كهذا .

وإذا اضطرَّ المسترشد، لسببٍ من الأسباب، أن يستشير شخصًا آخر في مسألةٍ تخصّه، لا ينبغي له أن يعلن صراحةً ما قاله المرشد، أو التصرُّفات التي بدرت منه، بل أن يعرض الأمر بطريقةٍ لا شخصيَّة وباقتضابٍ، وأن يسأل الله نورًا يساعده على أخذ قرارٍ متابعه الإرشاد مع هذا المرشد أو إيقافه . فالإرشاد في آخر الأمر هو عمل الروح القدس من خلال المرشد وفعل إيمانٍ من ناحية المسترشد .  
إيمان بالله، إيمان بعنانيته ورعايته الوالديَّة، إيمان بأننا بين يديه، وأنَّ

كلّ ما نعيشه من أحداث يتمّ تحت نظره، إيمان بأنّه يحبّنا ويريد  
الخير لنا حتّى وإن كنّا لا ندرك ذلك، وأنّه يكلمنا من خلال  
الأحداث والأشخاص. بدون هذا الإيمان لا يمكن أن تكون الثقة  
بجدوى الإرشاد كاملة.

## إختيار المرشد الروحيّ

إنّ إختيار المرشد مسألة في غاية الأهميّة، تتطلّب من المسترشد تمييزًا وتروّيًا وصلاة، إذ لا ينبغي أن يعتمد هذا الإختيار على مشاعر آنيّة أو عاطفيّة أو دوافع غير نقيّة كالإعجاب أو التباهي أو ما شابه ذلك.

### ضرورة التّأني والتمييز

- هناك أشخاص ليسوا في وضع إختيار مرشدهم. مثلاً راهبات حبيسات أو مَنْ لا تتاح له فرصة لقاء عدّة كهنة. في هذه الحالة، على الشخص أن يبذل قصارى جهده مع الشخص المُتاح له، وأن يتخطّى ضعف مرشده - يتخطّى ولا يتخلّى - باستشارة كتب عن هذا الموضوع. ولا يستغني الشخص عن إختيار المرشد إلّا إذا كان المرشد المُتاح يفتقر حقًا إلى القدرة على الإرشاد.

+ باستثناء هذه الحالات، ينبغي أن يتمّ إختيار المرشد الروحيّ بهذه الطريقة: الخطوة الأولى هو أن يسأل المسترشد الله في الصلاة نعمةً ونورًا كي يسير باحتراسٍ في هذه المسألة المهمّة. الخطوة الثانية هي أن يفتّش بين الكهنة المتاحين عمّن يمتلك الاحتراس والخبرة والثقافة الضروريّة لمرشدٍ ماهر. ولا ينبغي أن يتمّ الإختيار، بأيّ حالٍ من الأحوال، بحسب ميول الشخص الطبيعيّة تجاه هذا المرشد أو ذاك، على الرغم من أنّ فتح القلب بثقةٍ لمرشدٍ

كلّ ما نعيشه من أحداث يتمّ تحت نظره، إيمان بأنّه يحبّنا ويريد  
الخير لنا حتّى وإن كنّا لا ندرك ذلك، وأنّه يكلمنا من خلال  
الأحداث والأشخاص. بدون هذا الإيمان لا يمكن أن تكون الثقة  
بجدوى الإرشاد كاملة.



## إختيار المرشد الروحيّ

إنّ اختيار المرشد مسألة في غاية الأهميّة، تتطلّب من المسترشد تمييزاً وتروّيّاً وصلاة، إذ لا ينبغي أن يعتمد هذا الاختيار على مشاعر آنيّة أو عاطفيّة أو دوافع غير نقيّة كالإعجاب أو التباهي أو ما شابه ذلك.

### ضرورة التّأني والتمييز

- هناك أشخاص ليسوا في وضع اختيار مرشدهم. مثلاً راهبات حبيسات أو من لا تتاح له فرصة لقاء عدّة كهنة. في هذه الحالة، على الشخص أن يبذل قصارى جهده مع الشخص المُتاح له، وأن يتخطّى ضعف مرشده - يتخطّى ولا يتخلّى - باستشارة كتب عن هذا الموضوع. ولا يستغني الشخص عن اختيار المرشد إلّا إذا كان المرشد المُتاح يفتقر حقّاً إلى القدرة على الإرشاد.

+ باستثناء هذه الحالات، ينبغي أن يتمّ اختيار المرشد الروحيّ بهذه الطريقة: الخطوة الأولى هو أن يسأل المسترشد الله في الصلاة نعمةً ونوراً كي يسير باحتراسٍ في هذه المسألة المهمّة. الخطوة الثانية هي أن يفتش بين الكهنة المتاحين عمّن يمتلك الاحتراس والخبرة والثقافة الضروريّة لمرشدٍ ماهر. ولا ينبغي أن يتمّ الاختيار، بأيّ حالٍ من الأحوال، بحسب ميول الشخص الطبيعيّة تجاه هذا المرشد أو ذاك، على الرغم من أنّ فتح القلب بثقة لمرشدٍ

أشعر تجاهه بالاستياء أو عدم الاستلطاف هو أمر أصعب<sup>(١)</sup>.  
الخطوة الثالثة ألا يُسأل المرشد مباشرة هل يريد أن يكون مرشداً  
روحياً، بل ينبغي للمسترشد أن يختبره فترة من الزمن ليرى هل  
سيكون قادراً أو لا على القيام بوظيفة المرشد.

يقول القديس فرانسوا دو سال: «علينا ألا نختاره [المرشد] من  
بين ألف بل من بين عشرة آلاف». لعل هذا القديس عاش في زمن  
وفرة المرشدين. على كل حال، هذا ليس زمننا. وتقول القديسة  
تيريزيا الأفيلية في هذا الشأن: «لا أخشى أن أقول إنّ النفس التي  
تريد الخضوع لمرشد واحد ترتكب خطأ فادحاً إذا لم تختبره كما  
قلتُ... حتى إنّني أقول يحسن بها أن تظلّ بدون مرشد طالما أنّها  
لم تجد من يناسبها. وسيعطيها الربّ إياه إذا كانت شديدة التواضع  
ورغبة في أن تجده»<sup>(٢)</sup>.

هل من المناسب أن يكون هناك عدّة مرشدين روحيين في الآن  
نفسه؟ لقد قلنا سابقاً: لا! بسبب تنوّع الآراء بين المرشدين وخطر  
التضارب الناتج منها. ولكن من الممكن أن يفتش المسترشد عن  
أشخاص آخرين لديهم كفاءة معيّنة، حين تظهر صعوبة خاصّة أو  
مشكلة استثنائية. كأن يستشير محلّلاً نفسياً حول أزمة يمرّ بها، في  
حين أنّه يتابع استرشاده لدى مرشده الاعتياديّ. وكما قلنا من قبل،  
إذا كان المرشد فطناً ومتواضعاً، سيبادر وينصح المسترشد باستشارة  
شخص آخر. ولكن خارج هذه الحالات الخاصّة، ينبغي الحفاظ  
على وحدة الإرشاد الروحيّ، خصوصاً لدى شخصٍ يعاني  
الوساوس، وهذه الوحدة تُصان بالالتزام بمرشد واحد.

---

(١) تنبّه القوانين الكنسيّة إلى هذه الناحية في مسألة الاعتراف، خصوصاً حين لا  
يثق التائب لأسبابٍ وجيهة بالشخص المتاح له كي يسمع اعترافه.

(٢) السيرة، ١٣.

## بعض معايير الاختيار

في بعض الأحيان، يضع الله في طريقنا مَنْ نشعر معه بأنه يستطيع أن يكون لنا مرشدًا روحيًا. فعلينا أن نلاحظ عطية الله هذه ونقبلها. إلا أن هذا لا ينفي واجب الانتباه والتروّي وتفحص الأمور. لذلك سنورد هنا بعض المعايير لاختيار المرشد.

✦ **المعيار الأول هو التساؤل:** لماذا أريد مرشدًا روحيًا؟ الأجد مَنْ يصغي إليّ؟ الآن لديّ مشكلات كثيرة وأريد مَنْ ينصّني؟... كل هذه أسباب بشرية لا تكفي وحدها. فالمرشد الروحي شخص يساعدني على التقدم في مسيرة روحية قرّرت راضيًا أن ألزم بها. وهذا أمر مهمّ. وشتان بين أن ألجأ إلى شخص يرشدني في مشكلاتي وشخص يساعدني على النمو في الحياة الروحية. فتحديد ما أريده من الإرشاد معيار يساعدني على اختيار المرشد.

✦ **المعيار الثاني هو الترقّب المنفتح.** مَنْ يريد الله أن يضعه في طريقي ليكون مرشدًا لي ليس بالضرورة شخصًا أعرفه من قبل. في بعض الأحيان يبحث الناس عن مرشد من بين المحيطين بهم وهم يقولون: «على مرشدي أن يعرفني وأن أعرفه». لكنّ اعتبارًا كهذا يقلّل إمكانيات الاختيار كثيرًا. فالربّ يرسل إلينا أحيانًا مرشدًا لا نعرفه، والمعرفة تتمّ لاحقًا. فإذا كانت المعرفة من الأولويات، لا يتوجّب عليها بالضرورة أن تكون سابقة لاختيار المرشد. لذا، يجب على طالب الاسترشاد أن يكون يقظًا ساهرًا لأنّه لا يعرف متى يجعله الله يلتقي بمرشد يفيدّه ولا كيف يلتقيه.

✦ **تخطّي الشكليات.** على اختيار المرشد ألا يتمّ انطلاقًا من الانجذاب الطبيعيّ نحوه. لا شك في أنّ الانجذاب يساعد. لكنّ الاعتماد عليه وحده من أجل الاختيار خطأ. فالشراكة التي يخلقها

الله بين الأشخاص تتجاوز الصعوبات والتحفّظات الطبيعيّة. المهمّ هو أن نعرف كيف نستقبل عطية الله كما تُقدّم إلينا مع هذا الانجذاب أو بدونه. كم مرشد منحه الله نعمةً وافرة للقيام بهذا العمل، لكنّ شكله ليس جذابًا أو طبعه جافّ؟ فلا نصيّقن إذاً مجال بحثنا عن نعمة الله.

+ **الانتباه إلى القدرات.** في بعض الأحيان، تُطرح مسألة العمر والخبرة البشريّة كعناصر للاختيار. فمنهم من يرون أنّ الاسترشاد عند من هو أصغر منهم سنًا أمر مهين. كما أنّهم يريدونه أن يكون ذا خبرة بشريّة، وحتى أن يكون قد عاش ما عاشوه. «أنّى له أن يفهمني إن لم يعيش الخبرة نفسها؟ أنّى له أن ينصّحي وأنا أكبره بعشرين أو ثلاثين سنة؟». لا شكّ في أنّ نضج المرشد الإنسانيّ مهمّ. لكنّ قدرة المرشد على التمييز لا ترتبط بما عاشه بل بنظرته إلى البشر وإلى العلاقات وإلى الله وطريقة عمله في عالمنّا، وهي عمومًا هبة يمنحها الله للمرشدين بعضُ النظر عن سنّهم. فمسألة النضج ضروريّة لكنّها لا تقاس بالعمر، بل بالحياة الروحيّة التي يعيشها المرشد وثقافته وسعة اطلاعه.

وفي آخر الأمر، تطرح تساؤلات من نوع: هل على المرأة أن تختار مرشدة بدل مرشد؟ وهل على المتزوّج أن يختار مرشدًا متزوّجًا...؟ ما من إجابة عن هذه التساؤلات. فالأمر يرتبط بمن يبحث عن مرشد وبه وحده. من العلمانيّين من ينال نعمة الإرشاد الروحيّ، ويقوم به بطريقة أفضل بكثير من بعض الكهنة. ومن الإناث (خصوصًا الراهبات) من يفقن الذكور في الإرشاد. إنّها مسألة نعمة وعلينا أن نقرّ بها. فالإرشاد الروحيّ ليس اعترافًا؛ ولا يتطلّب أن يكون المرشد كاهنًا حصّرًا. في الاعتراف، يقول التائب خطاياهُ فيعطيه الكاهن بعض النصائح. فإذا كان لديه مرشد، يمكنه

أن يشاركه في النصائح التي سمعها من الكاهن . أمّا في الإرشاد فقد يُسلّط الضوء على بعض نقاط الضعف التي تعيق التقدّم الروحيّ، فيستطيع المرشد أن يعطي بعض النصائح للنموّ في القداسة، وهذا الأمر لا ينوب عن سرّ المصالحة .

## شروط تغيير المرشد

على الرغم من النصائح الكثيرة في عدم التقلّب من مرشدٍ إلى آخر، أو أقلّه عدم تغيير المرشد بسهولة، إلّا أنّ هناك بعض الحالات التي يتوجّب فيها تغيير المرشد ومنها :

- إذا صار الإرشاد عديم النفع أو مؤذيًا . يصير المرشد الروحيّ عديم النفع حين لا يشعر المسترشد تجاه المرشد بالاحترام والثقة والصراحة الضرورية لفعاليّة الإرشاد الروحيّ، على الرغم من إرادة المسترشد الحسنة ورغبته الصادقة بالتقدّم في القداسة . كأن يلاحظ المسترشد أنّ مرشده لا ينبّهه على عيوبه ولا يشجّعه على التقدّم في الفضيلة، أو لا يساعده ليتمكّن من حلّ مشكلاته، أو لا يُظهر اهتمامًا خاصًا لقداسته .

- يصير الإرشاد مؤذيًا إذا اكتشف المسترشد أنّ مرشده ينمّي لديه المجد الباطل والرضا عن الذات، ومستعدّ للتساهل مع أخطائه وعيوبه، أو يحكم على الأمور من وجهة النظر الدنيويّة الصرفة . أو إذا كان المرشد يضيّع الوقت بحواراتٍ تافهة، ويطرح أسئلةً تخرج عن إطار الفضول العاديّ، أو يناقش مسائل لا تتعلّق بالنموّ في القداسة .

- يصير الإرشاد مؤذيًا إذا لاحظ المسترشد أنّ مرشده لا يكتُم السريّة، أو أنّه منحاز ولا يستطيع التحرّر من انحيازه لتقدير ما يقوله

المسترشد. كأن يكون عاشقًا للترجيا والطقوس، ولا يقبل أن لا يجد مسترشد فيهما ما يريده من غذاءٍ لحياته الروحية.

- يصير الإرشاد مؤذيًا أيضًا إذا نمت عاطفة حسية شديدة لدى الواحد أو لدى الاثنين<sup>(٣)</sup>؛ أو حين يفرض المرشد أمورًا تفوق قدرات المسترشد أو لا تتوافق مع واجباته الحياتية؛ أو حين يلاحظ المسترشد بوضوح أن الآراء المعطاة مؤذية أكثر منه مفيدة. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن المسترشد قد يخطئ بسهولة حين يحكم على كفاءة المرشد وفعالية الاسترشاد، لهذا السبب من الضروري أن يتأني قبل أن يغير مرشده الروحي.

### طريقة تغيير المرشد

٤ إذا رغب مسترشد في تغيير مرشده الروحي، عليه أن يبدأ بالصلاة ليستشير الله هل هذا أمر حسن أم لا، وما هي دوافع هذه الرغبة! أمّن أجل مزيدٍ من النمو في الحياة الروحية أم للهرب من بعض المتطلبات؟ هل الرغبة نابعة من نداء الروح أم من نداء الجسد؟ هل لأنّ المسترشد لا يستطيع حتى الآن أن يرى حضور الله في مرشده بسبب ضعفه البشري، أم لأنه عاجز حقًا عن قبول طرائق الله المتنوعة في قيادة النفوس؟ أتراها تجربة من الشرير لإبعاد المسترشد عن الشخص الذي بدأ يفيد نفسه، أم لأنّ نضج المسترشد الروحي وصل مرحلة لا يستطيع فيها مرشده أن يساعده على التقدّم أكثر؟

على المسترشد أن يشارك مرشده في رغبته هذه. فإذا صعبَ عليه الأمر، قد يكون مقدار الثقة بالمرشد دافعًا من دوافع هذه

---

(٣) سوف نعود إلى هذه النقطة المهمة في الفصل الأخير.

الرغبة. وعلى المرشد ألا ينسى أنه لا سلطة له على نفس المسترشد. فإذا شعر بأن آخر يستطيع أن يساعده أكثر، عليه أن يوجّهه إليه. كأن يشعر بأن صعوبات المسترشد في حياته الروحية هي مزيج من الصعوبات الروحية والنفسية، وهو بحاجة إلى مرشد آخر يكون على اطلاع كافٍ بعلم النفس. وإذا تبين أن الرغبة تابعة من عقبة روحية يعجز المسترشد عن تجاوزها، ينبّه إليها ويدعوه إلى مسيرة توبة واهتداء.

لعلّ أشدّ الدواعي إلى تغيير المرشد الروحيّ شرعية هو البعد الجغرافي. إذ يحصل أن ينتقل المرشد أو المسترشد إلى مكان آخر بعيد جغرافيًا. فيشعر المسترشد بأن الاتصال الهاتفي أو الرسائل لا تُشبع حاجته إلى المرشد الروحيّ، أو يشعر المرشد بأنه لا يستطيع مساعدة هذا الشخص على النمو بهذه الطريقة. عندها يجب تغيير المرشد الروحيّ من دون تردد أو تساؤل كما سلف أن ذكرنا.

٥ أمر أخير يجدر بنا ذكره في مسألة تغيير المرشد هو سلوك المرشد الشخصي داخل إطار الإرشاد وخارجه. لا شك في أنّ بعض السلوكيات تحتم على المسترشد أن يغيّر مرشده: عدم الالتزام بالسريّة، فضول زائد لمعرفة أسرار المسترشد، عدم اتزان فكريّ أو عاطفيّ، التساهل مع الخطيئة التي يرتكبها المسترشد لأنّ المرشد يرتكبها أيضًا<sup>(٤)</sup>. . . إلّا أنّ هناك أمورًا قد لا تستدعي تغيير المرشد، إذا عرف هذا الأخير كيف يفصل بين حياته وعيوبه، والتمزم بالمبادئ التي ينبغي له أن يلتزم بها في إرشاده.

- فعلى سبيل المثال، إذا كان المرشد متعلّقًا بالمال والمادة، أو

(٤) لعلّ أكثر الأمثلة شيوعًا في شرقنا هو تساهل بعض المرشدين تجاه الخطايا ضدّ التعفّف لأنّهم يعانون منها أيضًا.

متكبرًا ويحبّ التكريم والتبجيل ، أو قاسيًا فظًا في تعامله مع الناس ، أو حتّى له علاقات عاطفيّة غير سوّيّة . لا يهمّ أيّ حياة يعيش هذا المرشد ، المهمّ كيف يقوم بإرشاده . صحيح أنّ حياة المرشد الروحيّة الصادقة والأمنيّة تنعكس حتمًا ، وبطريقة إيجابيّة ، على الإرشاد ، ولكن صحيح أيضًا أنّ إيجاد مرشدٍ خالٍ من العيوب أمر شبه مستحيل ، وقد اختبر القدّيس بولس نفسه انقسام القلب بين الخير الذي يريده ولا يفعله والشرّ الذي لا يريده وإيّاه يفعل . ومع ذلك ، تابع رسالته في هداية النفوس .

ـ المرشد إنسان وليس ملاكًا . ولا بدّ من أنّ لديه عيوبًا . إنّه يجاهد أيضًا في سبيل القداسة . وفي بعض الأحيان ، تؤثر خبرة المسترشد الروحيّة الصادقة في هداية المرشد إلى طريق الاستقامة والصلاح . لذلك لا يمكننا البتّ في أمر تغيير المرشد بناءً على سلوكه مع الناس خارج الإرشاد ، أو عيوبه التي لا يتأثر بها إرشاده ، ويعود على المسترشد أن يقرّر هل يغيّر مرشده في هذه الحالة أم لا .



## كيف يتم الإرشاد؟

بعد أن عرضنا الإرشاد الروحي وأهدافه، وصفات المرشد والمسترشد، نأتي الآن إلى جوهر الإرشاد الروحي. كيف يتم الإرشاد، وما الذي يحدث في أثناء لقاء المسترشد بالمرشد؟

### الإصغاء والحوار

. من جهة المرشد، الإرشاد الروحي ليس إصغاءً صرفاً. لا شك في أن للإصغاء أهميته. وهناك أشخاص يفتشون عمّن يصغي إليهم. لكن المرشد الذي يصغي فقط هو مرشد سيئ. لأن امتناعه عن الكلام يجعله غائباً، ويشعر المسترشد بأنه يكلم نفسه، ولا يسمع الكلمة التي يحتاج إليها ليتشجع في اختياراته أو يعيد النظر فيها أو يمتنع عنها.

. وإذا كان الإرشاد الروحي ليس إصغاءً صرفاً، فهو ليس خطاباً ولا وعظاً. فمن المرشدين من لا يصغي، وينطلق على الدوام من ذاته، أو يكتفي بالجمل الأولى التي يقولها المسترشد ليسهب في خطاب وعظ طويل قد يستغرق أحياناً فترة الإرشاد كلها، ولا يستطيع المسترشد في أثناءها أن ينهي التعبير عن فكرة واحدة راودته أو أن يبدي رأياً.

+ المرشد الماهر هو من يصغي ويبدي رأيه في ما قيل، ويعبر عما

شعر به عند سماعه ما قيل بكلّ صدقٍ وبدون محاباة . إنّهُ يتنبه إلى ما يسمعه ، ولا يشغل بتحضير الردّ ما إن ينهي المتكلّم حديثه . قد يجد المرشد أحياناً نفسه عاجزاً عن قول شيء فيصمت . إلّا أنّ هذا ليس قاعدة . على المرشد أن يعطي النصيحة أو النصائح بعد الانتهاء من المشاركة والإصغاء . عليه أن يطرح أسئلة ليستوضح نقطة غامضة أو يساعد الشخص على إيضاح أفكاره وآرائه ، كلّ هذا في جوّ من الاحترام الشديد ، ومن دون إرغامٍ على قول ما لا يشاء المسترشد أن يقوله لسببٍ أو لآخر .

إنّ النصائح جزءٌ مهمّ في الإرشاد . إنّهُ الجزء الثاني الذي يجب أن يلي الإصغاء . ولا تعتمد النصيحة على ما قيل وحسب ، بل تعتمد على مشيئة الله ، وهي تنبع من إيمان المرشد وإصغاء قلبه وصلاته لمن يسترشد عنده . أمّا المسترشد فعليه أن يسمع النصيحة ، وأن يعقد العزم حرّاً على الالتزام بها . فالطاعة علامة على أنّ المسترشد يثق بالله وبمَن وضعه في طريقه لإرشاده .

١٠ وإذا لم يجد المرشد ما يقوله ، أو لم يشعر بارتياح وسلام للأفكار والنصائح التي ترد في باله ، عليه ألاّ يخجل من التعبير عن ذلك ، وأن يرجئ النصيحة إلى وقتٍ آخر ، وأن يصليّ لأجل هذه النية ، ويسأل الروح القدس العون والإلهام . فهو في آخر الأمر أداة يستعملها الله لخير الشخص الذي يسترشد عنده . إنّ التعبير عن العجز في إدلاء النصائح في بعض المواقف ليس ضعفاً ، بل علامة على جدّيّة المرشد وغيرته واهتمامه بالنفس التي رضيت بأن يكون لها دليلاً .

- وفي بعض المواقف ، يُضطرّ المرشد إلى الصمت ، ويمتنع عن إبداء الرأي أو التعليق ، خصوصاً حين يلاحظ تأثر المسترشد الشديد

بما يتذكّره ويذكره. فالصمت في الأوقات المناسبة يريح أكثر من الكلام. إلّا أنّ هذا ليس قاعدة، كما قلنا سابقًا. وقد يُضطرّ المرشد أيضًا إلى عدم إعطاء النصيحة، خصوصًا حين يقدر أنّ المسترشد عاجز عن سماع أيّ نصح. عليه في هذه الحالة أن يشجّعه، ويرفع معنوياته، ويهدّئ من روعه، أيّ أن يساعده على تخطّي هذه المرحلة التي يجد نفسه فيها وكأنّه يسقط في الهوة أو يدخل في طريقٍ مسدود. وحين يتخطّاها، يأتي دور النصح والإرشاد.

- في آخر الأمر، لا بدّ للمرشد من أن ينتبه إلى طريقة إصغائه. عليه أن يُشعرَ المسترشد باهتمامه لما يقوله، فلا يعث بأشياء أمامه أو يتصفّح مجلّة أو يقرأ في أوراق، أو يغفو، أو يشيح بنظره محدّدًا ببعض الأشياء حوله، أو ينظر عدّة مرّاتٍ إلى ساعته ليعرف الوقت... كما عليه ألاّ يُشعرَ المسترشد بالحرص ويحدّق به، بل أن يكفّ نظره عنه، ويوحى له بالتركيز والانتباه. حين أتوا يسوع بامرأة أخذت في زنى، لم ينظر يسوع إليها ولا إلى الذين يدينونها، بل نظر إلى الأرض (يو ٨: ٢-١١). لأنّ النظر في وجه الشخص يُشعره بالضيق. ومع ذلك، من الضروريّ أن يلقي المرشد نظرة إلى محدّثه من حين إلى آخر كي يُشعره بأنّه يصغي إليه وليس شاردًا.

كما يُستحسن أن يتمّ اللقاء في مكانٍ ملائم، بعيدٍ عن الضوضاء أو عابري السبيل، ليشعر المسترشد بجديّة الاسترشاد وسرّيّته، ويستطيع تجميع أفكاره. ويُستحسن أن يكون الجلوس مريحًا، وألّا يشعر المسترشد بتفاوتٍ بينه وبين مرشده. فعلى سبيل المثال، لا يكون الواحد جالسًا على مفرشٍ أرضيّ والآخر على كرسيّ، فيتوجّه الكلام من تحت إلى فوق أو بالعكس، أو لا يفصل بينهما مكتب، وكأنّ الأمر مراجعة لشؤون إداريّة أو تحقيق...

## بعض النصائح العملية

- بَمَ نتكلّم مع المرشد الروحي؟ من الناس مَنْ يتردّدون في اتّخاذ مرشد روحيّ لهم لأنّهم لا يعرفون ما يتكلّمون به معه. في الحقيقة، جميع المواضيع التي تمسّ حياتنا مع الله والقريب وأنفسنا يمكنها أن تُطرّق مع المرشد الروحيّ. لأنّ جميعها تؤثر فينا وتساعد نموّنا أو تُعيقه. تقول إحدى السيّدات: «في البداية، كانت مسألة اتّخاذ مرشد روحيّ كابوسًا لي. فالمرشد موجود، لكنني لستُ طليقة اللسان، ولا أعرف ما أقوله له. كلّما اقترب موعد اللقاء أرتبك: علامَ سأكلّمه؟ لا أدري! وحين أحضر اللقاء، يبدأ الحوار بسيطًا، وشيئًا فشيئًا، تبرز نقطة مهمّة لم تخطر ببالي من قبل، وينتهي الإرشاد وفي قلبي رغبة شديدة كي أفعل أمرًا ينميّ حياتي الروحيّة».

+ إنّ الاسترشاد ليس تحقيقًا عليّ أن أقول فيه كلّ شيء، ولا اعترافًا عليّ أن أسرد فيه قائمة هفواتي. إنّ لقاء صداقة روحيّة، أفتح فيه قلبي لمنّ وضعه الله في حياتي، والروح القدس الذي يعمل فيّ وفيه يقوم بإدارة الجلسة، فيهمل نقاطًا ويركّز على أخرى. كم مرّة يأتي المسترشد وفي نيّته معالجة بعض الأمور مع مرشده، وينتهي اللقاء وقد دار الحديث حول نقاط أخرى لها الأهميّة نفسها وربّما لها أهميّة أشدّ؟ حين نقول إنّ الإرشاد لقاء صداقة روحيّة، فهذا يعني أنّ الحديث الذي يدور فيه هو حديث موجّه يتناول بعض النقاط المعيّنة، وليس تبادل أخبارٍ دنيويّة اجتماعيّة.

ما هي المدة الفاصلة بين اللقاء واللقاء؟ الأمر يتعلّق بما نعيشه من خبرة مع الله ومع الآخرين ومع ذواتنا. لكنّ العادة المتّبعة هي تكثيف اللقاءات في بداية الاسترشاد وانتظامها بعد ذلك. فالتكثيف في البداية يساعد على تقوية الثقة وشدّ روابط العلاقة وتنمية التعارف

المبادل. على كلّ حال، لا يجب أن تُترك الأمور على سجيّتها، أي أن يطلبَ المسترشد لقاء المرشد حين يشعر بالحاجة إليه. فالأمر يشبه حياة الصلاة. أنا لا أصليّ حين أشعر بالحاجة إلى الصلاة وحسب. لأنني إذا لم ألتزم بإيقاع منتظم للصلاة فلن أصليّ أبداً. وإذا ما دعّنتي الحاجة الملحة إليها بعد انقطاع طويل، أشعر وكأنني لم أصل من قبل البتّة. أي إنني عدتُ إلى ما قبل نقطة البداية.

وتسير الأمور بشكل مماثل في الإرشاد الروحيّ. الانقطاع عن الاسترشاد لوقتٍ طويل يجعلني أراجع في نمويّ. صحيح أن الله جعل المرشد في حياتي ليريحني ويعزّيني، لكنّه ليس قارب نجاة وحسب. ولقاؤه لا يرتبط بأوقات الأزمات. المرشد إنسان يساعد على النموّ. ولا يتمّ هذا النموّ من خلال الصعوبات والمحن وحدها، بل لعلّه يتمّ أسرع في أّيّام السكينة والسلام. وهي الأيّام التي تؤهّلني لاتّخاذ قراراتٍ سليمة لحياتي؛ قرارات خالية من أيّ تأثير ظرفيّ، وليس فيها أيّ صبغة من ردّ الفعل. خلاصة القول، على الإرشاد الروحيّ أن يتمّ بانتظام، وأن يتحدّد موعد اللقاء القادم عند نهاية اللقاء الحاليّ بإيقاع منتظم يتمّ الاتفاق عليه، ويتمّ تعديل انتظامه إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك.

✦ هل أشارك مرشدي بجراحي الداخليّة؟ لا شكّ في أن السير على خطى المسيح يقودنا إلى شفافيّة تظهر معها الجروح الداخليّة والأزمات الماضية التي نسيناها أو تناسيناها. إنّها كالبقع السود المظلمة في نسيج حياتنا الأبيض الشفاف. لا تظهر ولا تبرز إلّا حين يبدأ النسيج باستعادة نقائه الأصليّ. حينها يشعر المسترشد بالحاجة إلى التخلّص من هذه البقع. فيتوجّب عليه مشاركة مرشده بها من أجل التمييز ومعرفة كيفيّة تحويلها من عائق إلى دافع للحياة

الروحية. فالمسيح القائم من بين الأموات لم يمحُ آثار المسامير  
والجلد والطعن، علامات الذلّ والعار، بل حوّلها بقوة قيامته من  
علامات خزي إلى علامات انتصار. والإرشاد الروحي يسعى  
بالضبط إلى المساعدة على عيش هذه الخبرة. إنه يساعد المسترشد  
على عيش خبرة الموت والقيامة باستمرار، على تحويل العائق فيه  
إلى دافع.

## تفادي بعض الفخاخ

تمرّ عملية الإرشاد الروحيّ أحيانًا بأزمات، وهي معرّضة للسقوط في بعض الفخاخ. وسنورد هنا أكثرها شيوعًا.

### المرشد الروحيّ بشر وله ضعفه وأخطاؤه

+ أوّل فخّ يجب تفاديه هو رفض أن يكون المرشد الروحيّ «بشرًا»، أو لديه أخطاؤه وهفواته ومزاجيّته وحتّى خطاياها. فالمرشد الروحيّ المثاليّ الكامل لا وجود له. في بعض الأحيان، حين أكتشف ضعفًا بشريًا في مرشدي، قد أفكر في نفسي وأقول: يا طبيب اشفِ نفسك. لكنّ القديس بولس، كما ذكرنا من قبل، اعتبر الضعف وانقسام القلب، ومع ذلك كان يردّد على الدوام: الويل لي إن لم أبشّر، ويؤكد أنّ الضعف والوهن الذي يكتشفه تلميذ المسيح في ذاته ليس مبررًا لعدم حتّ الآخرين على القداسة.

في السياق نفسه، يخطئ المسترشد حين يعتبر مرشده قُدوةً له. لا شكّ في أنّه من الحسن أن يكون المرشد قدوةً لي، ولكنّ هذا الأمر يحوي بعض المخاطر. حين يقول لي مرشدي مثلاً: «عليك أن تلتزم بصلاة السبحة الوردية»، وأن تستبدل بها صلاة سبحة يسوع أو سبحة الرحمة إذا ما شعرت يومًا بالملل من السبحة الوردية أو برغبة في تلاوة السُبْح الأخرى»، ويركّز على هذا الأمر ويلجّ عليه في كلّ لقاء، فإنّه يفعل ذلك لأنّه لاحظ أنّ هذا النمط من الصلاة

يساعدني في نموّي الروحيّ، وينسجم مع أحاسيسي الروحيّة وتربيّتي الدينيّة. لكنّ هذا لا يعني أنّه ينبغي للمرشد أن يفعل الأمر نفسه. فحياته الروحيّة وتربيّته ودرجة نضجه في العلاقة بالله قد لا تتناسب مع هذا النوع من الصلاة. ولا ينبغي لي أن أتشكّك إذا رأيتُ مرشدي يطلب منّي ما لا يفعله هو، ولا أن أتهمه بالتناقض مع ذاته.

+ إنّ الله وضع هذا المرشد في طريقي ليساعدني على النموّ لا ليكون قدوةً لي، لأنّ قدوتي هو المسيح، ولا ينبغي لمرشدي أن يُسقطَ عليّ ما يعبّسه هو وما يناسبه، فطرق الله كثيرة، وجميعها تقود إلى السعادة، وفنّ الإرشاد هو مساعدة المسترشد على أن يكتشف طريقه الروحيّ الخاصّ.

المرشد الصادق لا يكثرث إلّا بنموّ من يسترشد لديه، ويحترم مسيرته وحساسيّته وجميع الوسائل الكنسيّة التي تساعد على النموّ: التعبّد للقربان المقدّس؛ تلاوة السبح؛ إكرام أحد القديسين؛ الصيام؛ الزيّاح؛ الحجّ... فحتّى وإن لم تكن هذه الأمور وسائط يستعملها المرشد في نموّه الروحيّ، فإنّه لا يتردّد في أن يطلب من المسترشد لديه الالتزام بها إذا كانت تلائم نفسه.

خلاصة القول، المرشد وسيلة بشريّة يستعملها الله لخير النفوس. إنّّه ليس غاية. فالغاية هي تقدّم المسترشد في علاقته الشخصيّة الفريدة بالله. فعليه أن يقبل مرشده بإنسانيّته وضعفه.

## إحتمال الخطأ

+ ويقودنا هذا إلى فنحّ آخر: إذا كان مرشدي غير معصوم عن الخطأ، ألا يمكنه أن يضلّلني؟ أليس الأفضل أن أعتمد على ما



أشعر به وأفكر فيه، على انطباعاتي وأفكاري وميولي، بدل أن أصغي إلى ما يقوله مرشدي؟ إن تفكيرًا كهذا يجهل طبيعة الإرشاد الروحي وماهيته. فالمرشد الروحي لا يأمر ولا يفرض. إنه يقترح ويساعد على توسيع الأفق وتعميق النظرة. أنا لا ألتزم بهذا الأمر أو ذاك لأن مرشدي طلبه مني وعليّ أن أطيعه من دون أن أفهم لماذا. أنا ألتزم باقتراحات مرشدي لأننا رأينا معًا وميّرنا، فشعرتُ بعد الحوار والتمييز بأن التزامي بمقترحاته سيفيدني في معرفة نفسي أو نموي الروحي أو تقدّمي في مسيرتي مع الله. فالقرار في آخر الأمر هو قراري، أتخذه بملء حرّيتي، بعد أن تناقشتُ مع مرشدي وسألته وجادلته واستوضحت وجهة نظره وما يدفعه إلى هذا الاقتراح. القرار قراري، وألتزم به مؤمنًا بأن الله حاضر معنا، «حيثما اجتمع اثنان باسمي أكون بينهما»، وهو يرفع ما عزمْتُ على فعله ويقوم بطريقته ما قد يكون معوجًا في مسيرتي أو اختياري.

+ إن الله أب؛ والأب لا يسمح بضلال أحد أبنائه في نواياه الحسنة وسعيه إلى عيش الطاعة البنوية. وللقديسة تيريزيا الأفيلية في هذا المجال خبرة رائعة: «في بعض الأحيان، يأمرني الرب في تأملاتي بشيء، في حين يأمرني معرفي (أي المرشد الروحي) بشيء آخر. لكنّه (أي الله) كان يقول لي دومًا عليّ أن أطيع معرفي، وهو يهتم بعدها بتغيير نفسه (نفس المعرف) ويقوده إلى أن يطلب مني ما أراه (أي ما أراه الله)»<sup>(١)</sup>.

الحالة الوحيدة التي يحقّ لي فيها عدم الطاعة للمرشد هي حين يطلب مني ما يقودني إلى الخطيئة، أو ما يخالف ضميري. إنها حالة نادرة، ومع ذلك علينا ألا نستبعدّها. فالضمير هو الاحتكام

(١) السيرة، ٢٦.

الداخلي الذي يجعلني أُميّز الخير من الشرّ. لكنّه ليس على الدوام مرهفًا أو مُنارًا بما فيه الكفاية. فعليّ تربيته بمعونة الروح القدس كي يستقيم أكثر فأكثر. وتتمّ هذه التربية بوسائط متعدّدة منها تأمل كلمة الله؛ ومعرفة تعاليم الكنيسة والالتزام بها؛ والإصغاء الدائم لهمسات الروح من خلال مراجعة أحداث النهار يوميًا؛ وتمييز عمل الله فيها لخيري. فإذا تبلبل ضميري من رأي مرشدي الروحيّ أو اقتراحه، عليّ أن أحكم إلى الكتاب المقدّس وتعاليم الكنيسة لأبرّر عصياني له، أو استشارة مصدرٍ آخر.

## الاستيعاب والتطلّب

- فحّ آخر يظهر في الاسترشاد، وهو شعوري بأنّ مرشدي لا يفهمني أو لا يستطيع استيعاب البيئة المحيطة بي أو الثقافة التي أنتمي إليها أو الحياة التي أعيشها. في هذه الحالة، عليّ أن أخبر مرشدي ببساطة عن هذا الشعور، وأنّ أشرح له ثانيةً ما أردتُ أن أشاركه به. فإذا ظلّ لديّ هذا الشعور، عليّ ألاّ أكرّث به، وأنّ أحبّد الإصغاء الواثق لنصائح مرشدي. لأنّ هذا الشعور ذاتيّ وليس موضوعيّاً. ونشعر به في بعض الأحيان إذا كانت النصائح متطلّبة أو تزعج أهواءنا. فقد كنّا نتوقّع من مرشدنا أن يطيب خاطرنا ويشجّعنا، وإذا به يتطلّب منّا ويضعنا على محكّ إدانة سلوكنا. وفجأة، يتابنا شعور بأنّه لا يفهمنا.

- ومن فخاخ الاستيعاب أيضًا أن أحاول إقناع المرشد بآرائي ووجهات نظري. فتنبتعد مشاركتي عن الموضوعيّة والشفافيّة، وأحاول في أقوالي أن أقدم البراهين والمبرّرات المنطقيّة، وأن أبرز الجوانب الداعمة لرأيي وأخفي ما يمكنه أن يدحض حجّتي. لكنّ الإرشاد الروحيّ لا يُعاش بهذا الشكل. فالمرشد ليس محقّقًا ولا

قاضيًا نتمنى أن يدلي بحكمه لصالحنا. لا شك في أنه يدلي برأيه لصالحنا، لكنّه قد يرى صالحنا من وجهة نظر أخرى غير وجهة نظرنا. المرشد شخص يريد مساعدتنا على الدخول في حكمة الله والنمو في الحياة مع المسيح. فإذا كانت له الكلمة الأخيرة، فلأنّ الله انتدبه لمساندتنا، لا لأنّه شخص مُحقّ على الدوام، أو عارف بكلّ شيء، أو شخص يسحقنا بفوقيته. لذا علينا ألا نفرز النصائح المعطاة، فنحافظ على الأقلّ إزعاجًا لنا أو التي تناسب أهواءنا أو التي نرى أنّها باستطاعتنا. لأنّ هذا الفرز علامة على عدم الثقة، لا بالمرشد وحسب بل بالله الذي يهبنا القوّة اللازمة لتحقيق الفضائل التي نشاق بصدقٍ إلى أن نعيشها. فما هو مستحيل في نظر الناس ممكن عند الله.

– وفي مضمار الفخّ نفسه، هناك مَنْ يفتش عن نصائح أقلّ إزعاجًا في مكانٍ آخر. إنّ هذا التصرف يدمّر النموّ الروحيّ ويحزن قلب الله. فمثّل هذا الشخص كمثّل الشابّ الغنيّ الذي لم يقبل اقتراح يسوع من أجل بلوغ الكمال. إنّ متطلبات المرشد الروحيّ التي لا تعجبنا أو تزعجنا لا تبرّر لنا البحث عند آخر عن نصيحة أقلّ حزمًا أو أنسب بحسب رأينا، حتّى وإن كان هذا المرشد مملوءًا حكمة.

## حرية المرشد والمُسْتَرشد

– من الفخاخ أيضًا الخوف. ما الصورة التي سيكونها المرشد عني إذا قلتُ له هذا؟ أترأه سينبذني؟ أسيحكم عليّ؟ أسيقلّ شأنني عنده؟ أسيخيب ظنّه فيّ؟ تساؤلات كثيرة من هذا النوع تتردّد في ذهن المسترشد إذا كان يجهل ماهيّة عمل المرشد، ولا يرى فيه إلّا الممتحن أو المحقّق. وفي بعض الأحيان ينبع الخوف من الشكّ في قدرة المرشد على كتمان السرّ، وقد يساهم المرشد في ذلك، حين

يذكر بدون انتباه حالاتٍ معينة كأمثلة، حتّى وإن لم يذكر أسماء أصحابها، فيفقد المسترشد حرّيته في التعبير.

لقد أدركت الكنيسة هذا الأمر ووضعت في قانونها بعض الأمور التي من شأنها أن تؤمّن للمسترشد الحرّية الكاملة. فمنعت على سبيل المثال مدير إكليريكيّة من أن يكون في الآن نفسه مرشدًا للإكليريكيّين الذين تحت إدارته، أو منعت الرؤساء من أن يكونوا مرشدي مرؤوسيهـم، كي يحافظ الطرفان على الحرّية التامة في التعامل على المستوى الإداري.

إنّ حرّية المرشد والمسترشد أمر في غاية الأهميّة، وهو في بعض الأحيان سبب وجيه لتغيير المرشد، كأن يصبح المرشد الروحيّ رئيسًا على من يرشده، أو تشاء الظروف ويضطرّ الطرفان إلى التعامل معًا بأمرٍ دنيويّة يشعر فيها أحدهما أو كلاهما بأنّه لا يتمتّع بالحرّية الكافية.

وعلى الرغم ممّا قلناه، فإنّ الخوف يُفشّل عمليّة الإرشاد. سواء خوف المسترشد من المرشد، أو حتّى خوف المرشد الذي قد يخشى، بضعفٍ منه، أن يتركه المسترشد أو يتضايق منه. وللتغلّب على هذا الخوف مهما كانت أسبابه، على المرشد والمسترشد أن يتذكّرا أنّ الإرشاد الروحيّ هو عمل الله وليس عملاً بشريّاً، وأنّ المرشد مجرّد أداة يستعملها الله لتنمية النفس، وعلى هذه النفس أن تكثرث بعلاقتها بالله أكثر من اكتراثها بعلاقتها بمرشدها.

## العاطفة بين المرشد والمُسترشد

العاطفة هي أخطر الفخاخ في الإرشاد الروحيّ، إنّها أداة مهمّة

في الإرشاد، لأنّ لها دورًا في نموّ الثقة والشفافيّة بين المرشد والمسترشد أو في عدم نموّها، كما لها دور في انحراف الإرشاد.

- لا شكّ في أنّ الإرشاد الروحيّ يساعد على نضج العواطف. وهذا النضج لا يعني أن نصبح لامبالين بعواطفنا أو باردین، بل أن نتحرّر من تبعيّة رديئة ومن سعي مبالغ فيه وراء عاطفة تُحوّلنا إلى عبيد. فنضج العواطف يعني توجيهها ونيل حريّة داخلية وتفضيل الله على كلّ شيء وفي كلّ حال.

• بيد أنّه يحدث في كثير من الأحيان أن يتعلّق المسترشد بمرشده. فيكون هذا التعلّق عاملاً مساعداً على الشفافيّة تارةً وعائلاً لها طوراً، إذ قد يجعل المسترشد حريصاً على صورته لدى المرشد، خائفاً من تشويهها، أو قد يلغي حرّيته ويحوّل العلاقة القائمة بمرشده من علاقة منفتحة (محبّة) إلى علاقة منغلقة (حبّ). على المرشد أن ينتبه دوماً إلى هذا الأمر وينبّه الآخر إليه، ويذكره بأنّه هنا ليساعده على السير في طريق الحرّيّة والنضج لا في طريق التبعيّة.

- على المرشد أيضاً أن يحافظ على المسافة بينه وبين ما يعيشه المسترشد. فبدون هذه المسافة لا يستطيع أن يكون موضوعياً ولا أن يساعد الآخر على النظر إلى حياته وعلاقته بالله بموضوعيّة. لكنّ هذه المسافة لا تنفي أن يُشعر المرشد الشخص الذي أمامه بأنّه محبوب ومقبول كما هو، وأنّ فيه من الخير ما يضمن له رجاء النموّ.

على المرشد أيضاً أن يحمل من عهدٍ بهم إليه في صلواته، وأن يسأل الله باستمرار عطية الروح التي تقود أفكاره وآراءه وكلامه، وتلهمه بما فيه خير للآخر، وتخلق التوازن المناسب بين العاطفة والمسافة في علاقته بالمسترشد. ففي كثير من الأحيان، حين يبدأ

المسترشد بالكشف عن خفايا قلبه واثقًا بمرشده، تتجلى صورة الله فيه ببهاؤها. إنها تتجلى من خلال الشفافية وبفضلها. ويلاحظ المرشد هذا التجلي فيحبه كما أحب بطرس الإقامة على جبل طابور: «يا رب، حسن لنا أن نقيم هنا». إذا شعر المرشد بالانجذاب في داخله نحو المسترشد، فليطلب إسعاف نعمة الله، ولن يتوانى الروح القدس عن نجدة كي يخلق فيه انسجامًا عجيبيًا بين انجذابه إلى المسترشد بسبب صورة الله التي تجلت فيه، وابتعاده عنه لمساعدته على النمو بحرية وفقًا لمشيئة الله. إنها نعمة الإرشاد.

ومع ذلك، لا يمكننا أن ننكر واقعًا ملموسًا، وهو واقع المحبة التي تنمو بين المرشد والمسترشد، محبة قد تتحول في بعض الأحيان إلى حب. ليس في هذا الحب ما يخالف الشريعة طالما أنه روحي وليس جسديًا حسيًا، أي طالما أنه حب فائق الطبيعة. ففي حياة القديسين عدد لا يحصى من الأمثلة على هذا النوع من الحب. لكن الصعوبة تكمن في بقاء هذا الحب على المستوى الفائق الطبيعة، وعدم انزلاقه إلى المستوى الطبيعي.

لكن الوضع ليس دومًا هكذا. فحب المرأة لمرشدها الروحي أمر طبيعي صرف، وينبع من الانجذاب الطبيعي بين الرجل والمرأة. ويمكن أن يكون الحب أيضًا ناتجًا من اهتمام أبوي وعاطفة أظهرها المرشد، وحسن العرفان بالجميل لكل ما فعله لأجلها. والخطر الكامن في حب الصداقة بين المرشد والمرأة المسترشدة يزداد من حيث إنه يجب على المرشد أن يعرف بالضرورة مسائل الضمير والتجارب وحتى الخطايا. فحتى وإن كان المرشد مقتنعًا بأنه لا خطر عليه أو على المسترشد لديه، عليه أن يعي دومًا خطر أن يشكك الآخرين. نتيجة لذلك، على المسترشد أن يبذل كل

جهده ليرى المرشد كمسيح آخر، وأن يرجع إليه عند الضرورة فقط، وأن يتفادى بحرص كل إظهارٍ للعواطف البشرية.

في هذا المجال، يجب على المرشد أن يتمتع بوعي مرهف وحذر شديد من دون أن يصل به الأمر إلى الخجل الزائد أو الشك أو الخشونة. فإذا كانت المسألة عاطفةً حسيةً متبادلة أقرّ بها الطرفان، من الأفضل أن يفتش المسترشد عن مرشدٍ آخر. لا لأن هذه الصداقة معرضة بوضوح لخطر أن تتحوّل إلى انجذابٍ حسّيٍّ وحسب، بل لأنه من الصعب في هذه الظروف أن يتم إرشادٌ روحيٌّ حقيقيٌّ وفعال.

إذا اختبر المرشد عاطفةً حسيةً تجاه المسترشد، عليه أن يفحص الأمر أمام الله ليكتشف هل تبلبل عاطفةً كهذه روحه، هل تعرّضه لخطر التجربة، هل تعيق الحرية التي ينبغي له أن يتمتع بها لكونه مرشدًا روحيًا، هل هي منبع لأخطارٍ أخرى. في هذه الحالة، وبدون أن يكشف عن مشاعره للمسترشد، عليه أن يجد سببًا معقولًا لترك هذا الإرشاد. وإذا لم يختبر أيّ خطر تجربة أو أيّ عائق للإرشاد على الرغم من عواطفه الحسية، عليه أن يتابع الإرشاد، وأن يكون على الدوام ساهرًا على نفسه وحذرًا.

وأخيرًا، إذا لاحظ المرشد أنّ المسترشد ينمي عواطف حسية تجاهه وهو لا يبادلها هذه العواطف، عليه أن يفكر هل تبلبل عواطف كهذه سلام المسترشد أم لا، أو هل تولّد فيه التجارب. فإذا كان الأمر كذلك، عليه أن ينصح، بل وأن يأمر، المسترشد بأن يفتش عن مرشدٍ آخر. وإذا لم يكن هناك خطر أن تولّد عواطف المسترشد حبًا حسّيًا، فيمكنه أن يتابع إرشاد هذا الشخص، ولكن عليه أن يكون شديد الانتباه، مخافة أن تحرّف كلمة ساهية أو فعلٍ غير متببه هذه العواطف البشرية.

## الخلط بين الإرشاد والمرافقة والنصيحة

لقد بيّنا في المقدّمة الفارق بين النصيحة الروحية التي تُعطى في أثناء الاعتراف والمرافقة الروحية التي تُمارَس في أثناء الرياضة الروحية، أو مجموعات المشاركة والإرشاد الروحي الشخصي. إنّ هذا التمييز ليس لتسهيل دراسة الموضوع، بل هو قاعدة يجب الالتزام بها.

إذا دمج المرشد الكاهن بين الاعتراف والإرشاد الروحي، فإنّه سيُضطرُّ إلى أن يتخطّى إطار الخطايا التي اعترف التائب بها، ويطرح عليه أسئلة حول مواضيع أخرى، فيخالف بذلك القانون الكنسيّ الذي يمنع المعرّف من طرح هذا النوع من الأسئلة. فالاعتراف سرّ، والقانون الكنسيّ ينظّم طريقة ممارسته بالتفصيل، في حين أنّ الإرشاد الروحي ليس سرّاً، وتنظيم القانون الكنسيّ له يقتصر على المبادئ الأولى، كأن يمنع رئيس إكليريكيّة من أن يكون مرشداً روحياً لأعضاء الدير. أمّا الاعتراف فالقانون يمنع المعرّف من طرح أسئلة عن خطايا لم يعترف التائب بها أو أمور لم يشر التائب إليها، كما يمنعه من الاستفهام عن بعض التفاصيل غير الضروريّة.

ومع ذلك لا شيء يمنع أن يطلب المسترشد في لقاء الاسترشاد أن يعتبر هذا اللقاء اعترافاً أيضاً وينال الحلّ في نهاية اللقاء. حينها، يمكن أن يطلب المرشد أن يبدأ اللقاء بالاسترشاد، وفي نهايته يرسم إشارة الصليب ويطلب من المسترشد أن يلخص ما قاله ويضيف إليه ما يريده في صيغة اعتراف. هنا ينتهي الاسترشاد ويبدأ السرّ ويُمارَس بحسب الأصول والقواعد الكنسيّة.



## الإرشاد الروحي بالمراسلة

هذه المسألة ليست فحًا، ولكنّها قد تجلب بعض المتاعب. هل يمكن إرشاد شخص بالمراسلة؟ إذا تعلّق الأمر بشخص منعزل يريد نصيحةً أو حلًّا لمشكلة، لا مانع من استعمال المراسلة، خصوصًا المراسلة الإلكترونية، لأنّها تؤمّن السريّة المطلوبة (غياب مَنْ يمكنه أن يطلع على الرسائل). وإذا كان لدى طالب النصيحة مرشد روحي آخر، يجب توخّي الحذر الشديد، خصوصًا حين لا يوحى مَنْ يطلب النصيحة بالثقة. ففي بعض الأحيان يبحث شخص عن إجابة كتابيّة من كاهن آخر ليظهرها لمرشده ويواجهه برأي يخالف رأيه. فإذا كان ضروريًا أن يصحّح مرشد نصيحة مرشد آخر، ينبغي لهذا التصحيح أن يأخذ شكل التوسّع ومزيدًا من تطبيق النصيحة المعطاة لا تصويبًا كاملاً وكلّيًا له.

إنّه لأمر ممتع أن نرى تغيّر آراء المرشدين في شأن الاسترشاد عبر وسائل الاتصال. فحتّى نهاية السبعينيّات، كان الموقف متحفّظًا تجاه هذا النوع من الاسترشاد، خصوصًا وأنّ وسيلته الأساسيّة كانت الرسائل البريدية. في نهاية الثمانينيّات اعتدل هذا الموقف بعض الشيء بسبب انتشار الهاتف، حيث يستطيع المرشد أن يشعر بما يقوله المسترشد بوجه أفضل من خلال سماع الصوت، إضافةً إلى إمكانيّة الحوار المباشر التي تؤمّنها هذه الوسيلة. في التسعينيّات، شاعت الرسائل الإلكترونية، فأقمت الوصول الفوريّ للرسالة، وأقمت أيضًا مزيدًا من السريّة. وفي مطلع القرن الحادي والعشرين، صار التواصل ممكنًا بالصوت والصورة، فأقرّ كثير من الآباء الروحيّين بجدوى هذه الوسيلة في الإرشاد الروحيّ، كما أقرّوا بجدوى المحادثة الإلكترونية (تشات) في حال واجه المسترشد صعوبةً في لقاء مرشده.

ومع ذلك، يُنصَحُ دومًا بالألا يقبل المرشد بسهولة إرشاد شخصٍ من خلال وسائل الاتّصال الحديثة إذا كان لا يعرفه من قبل. وحتى في حال كان يعرف المسترشد لديه، على الإرشاد أن يتبع إيقاعًا محدّدًا، فلا يتمّ التواصل، بسبب سهولة إجرائه، كلّ يوم أو يومين، كي تُتاح للمسترشد فرصة الابتعاد بعض الشيء عن مرشده، وتحمل مسؤوليّته، وعدم طلب النصيحة في كلّ شاردة وواردة، بل في الأمور الجوهرية. وكما أنّ الإرشاد بالمقابلة الشخصية يستغرق وقتًا محدّدًا، كذلك ينبغي للإرشاد بوسائل الاتّصال السمعية البصرية أن يكون محدود المدة.

## الإرشاد الروحيّ

### طريق القائمين من بين الأموات

لا يمكننا أن نجد في الكتاب المقدّس نصًّا يشير إلى طريقة يسوع في ممارسة الإرشاد الروحيّ أفضل من نصّ تلميذيّ عمّاوس (لو ٢٤ : ١٣-٣٥). ففي لقاء يسوع بهذين التلميذَيْن إشارات إلى صفات الإرشاد الروحيّ المسيحيّ يمكننا حصرها في تسع نقاط .

① - قرية تبعد ستّين غلوة عن أورشليم. إن إرشاد شخص يعني الذهاب إليه حيث هو، حتّى وإن كان يبتعد عن أورشليم، المكان الذي يرمز إلى السلام والخلاص. (أور- شليم أيّ مدينة السلام). وقد رضي يسوع أن يمشي مع التلميذَيْن في الاتجاه المعاكس للمدينة المقدّسة، على الرغم من أنّه سيطلب من تلاميذه أن يبدأوا فيها بإعلان التوبة لمغفرة الخطايا (لو ٢٤ : ٤٧). هذا هو حال كلّ واحدٍ منّا. فالله يلتقي بنا حيث نحن لا حيث يريدنا أن نكون؛ ويسير معنا فترةً في الاتجاه الذي اخترناه، ليجعلنا بعد ذلك نغيّر اتّجاهنا (الاهتداء) ونسير في الاتّجاه الذي اختاره هو. على المرشد الروحيّ أن يقبل السير إذاً مسافةً ما مع مَنْ يسترشد لديه، حتّى وإن كان الطريق لا يقود إلى الخلاص.

② - لكنّ أعينهما عميت عن معرفته. في الإرشاد الروحيّ يتعلّم المرشد كيف يرى حضور يسوع في حياته كما في حياة مَنْ يرشده.

وهذا يتطلب منه تواضعاً. فالله هو الذي يساعد النفس التائهة على إيجاد سواء السبيل. وما المرشد إلا وسيلة لذلك. على المرشد إذاً أن يؤمن إيماناً راسخاً بأنّ الربّ سبقه للقاء هذا الشخص، لكنّه عاجز عن رؤيته في حياته بسبب جروح أو جهل أو أحكام مسبقة أو عجزٍ داخليّ... لذا، سيسعى المرشد إلى فتح عينيّ المسترشد بصبر وتواضع، وإلى جعله يغيّر نظرتّه إلى الله وإلى نفسه وإلى الآخرين ليكتشف الحضور الخفيّ للربّ في حياته. وعلى المسترشد أن يقرّ بأنّه أعمى، ولهذا أتى طالباً الاسترشاد. بدون ذلك يكون كالفرّيسيين. «لو كنتم عُمياناً لما كان عليكم خطيئة. ولكنكم تقولون الآن: إنّنا نبصر فخطيئتكم ثابتة» (يو ٩: ٤١).

(٣) - ما هذا الكلام الذي يدور بينكما وأنتما سائران؟ إنّ قسطاً كبيراً من مهارة الإرشاد يكمن في فنّ طرح السؤال والقدرة على الصمت. لا شكّ في أنّ يسوع يعرف ما الأمر، لكنّه طرح السؤال وأصغى إلى الجواب. ترك التلميذين يعبران عمّا في داخلهما. فعلى المرشد إذاً أن يسأل المسترشد حتّى في القضايا التي يعرفها حقّ المعرفة. ويظهر إصرار يسوع على سماع أقوالهما وآرائهما حين يكرّر السؤال: «ماذا حدث؟»؛ ففي الإرشاد الروحيّ، على المسترشد أن يتكلّم. لولا ذلك، لتحوّل الإرشاد إلى وعظٍ وتعليم، ولن يستقبله المسترشد استقبالاً عميقاً.

(٤) - فوقنا حزينين... كنّا نأمل أن يخلّص إسرائيل. وبعد السؤال، يأتي دور الإصغاء. وقد لاحظ يسوع الحزن بادياً على وجهيهما. فمن جهة المسترشد، عليه أن يعبر عن مشاعره بحريّة. ومن جهة المرشد، عليه أن ينتبه إلى هذه المشاعر ويحترمها. وترك يسوع التلميذين يتكلّمان فأبديا رأيهما فيه: إنّّه نبيّ قدير بالقول والفعل؛ وعبراً عن أهمّهما: حكم رؤساؤنا عليه بالموت وصلبوه؛

وخيبة أملهما : كنّا نأمل أن يخلّص إسرائيل ؛ وحيرتهما : لكنّ نسوة من بيننا حيرتنا ، فقد وجدنّ القبر فارغاً ، وأخبرهنّ ملاك أنّه حيّ ؛ وشكّهما : أمّا هو فلم يرّيته .

إنّ فترة الإصغاء هذه ضروريّة للمرشد كي لا يخطئ الهدف . حين يصغي المرشد ، يدرك طبيعة الشخص الذي أمامه وحالته الحاضرة ، وكيف عليه أن يكلمه وما الذي يحتاج إليه حقّاً . وحين يتكلّم المسترشد ، تنتظم أفكاره وتعمّق رؤيته وتُصاغ مشاعره .

(٥) - ما أغباكما وأبطأكما عن الإيمان بكلّ ما قاله الأنبياء . ها قد حان وقت الكلام أخيراً . كلام إزالة الغموض والتحرير ، كلام التوعية لحقيقة حال المسترشد . لقد استعان يسوع بالكتاب المقدّس ليساعد التلميذَين على الإيمان . ولأجل ذلك ، رأى أنّه بحاجة إلى تعبير قاسٍ بعض الشيء ليخرج النفس من خمولها . ففي بعض الأحيان ، يضطرّ المرشد إلى البتر ؛ إلى كلمة صارمة تعتمد على الكتاب المقدّس ، يشعر أمامها المسترشد بالحاجة إلى تطهير الفكر والقلب ، إلى معرفة المزيد ، إلى التعمّق ، إلى العقل المنفتح . ويجب أن يليها الشرح كما فعل يسوع ، فشرح للتلميذَين وعلمهما .

(٦) - أظهر لهما أنّه ذاهب إلى مكان بعيد . «المسافة الكافية» . كلمة مهمّة جدّاً في الإرشاد ، وهي تكافئ «التجرّد» . ففي الإرشاد هناك دومًا خطر عدم الابتعاد «مسافة كافية» عن المسترشد أو الابتعاد كليًا . على المرشد أن يتدخّل في الوقت المناسب وينقل ما تسلّمه هو نفسه ، وألّا يفرض في الآن نفسه حضوره فريضاً ، وأن يترك للمسترشد حرّيّة البقاء معه أو تركه ، وأن ينسحب حين يرى ذلك مناسباً . وتقع على المسترشد مسؤوليّة استدعاء مرشده إذا ما رأى فيه وسيلة يستعملها الله لإرشاده .

(٧) - وناولهما، فانفتحت عيونهما وعرفاه فتواري عنهما. حين يبلغ المسترشد الهدف، ويميّز الحضور الخفيّ للربّ في حياته، على المرشد أن ينسحب أمام حضور المسيح الأسراريّ. فالمسيح هو المخلّص الوحيد، الوسيط الوحيد، المرشد الوحيد إلى الله. إذا لم ينسحب المرشد لا يقتدي بمعلّمه الذي تواري عن أعين تلميذيّ عمّاوس. فالإيمان بالقيامة وبحضور المسيح الحقيقيّ في كسر الخبز وبعمل الله الخلاصيّ في الإنسان، مهما بلغت أزماته ومهما اشتدت صعوباته، لا يُفرض فرضاً، بل هو ثمرة انفتاح عينيّ القلب. وعلى المسترشد أن يقرّ بذلك حرّاً.

٨ - أما كان قلبنا يحترق في صدرنا حين حدّثنا؟ لا بأس في أن يكرّس وقت في الإرشاد للتقييم، سواء من جهة المرشد أو المسترشد، لاكتشاف ثمار هذه المسيرة الروحيّة المشتركة. إلّا أنّه يجدر بنا الانتباه والحذر. فالقلب الملهب هنا لا يعني الراحة في المشاعر. لأنّ القلب في لغة الكتاب المقدّس هو مركز الفكر والإرادة. والتقييم يتمّ انطلاقاً من الأفعال التي قمنا بها، وهي نتيجة للمسيرة الروحيّة. ألم يتغيّر الكيان بكامله: الجسد والنفس والروح، تدريجيّاً مع تتالي لقاءات الإرشاد؟ إن لم يكن الحال هكذا، فيجب أن يُقترح على المسترشد بتواضع وبساطة، وبعد صلاة، أن يفتش عن مرشد آخر أنسب، أو أن يقول المسترشد لمرشده إنّه يريد أن يغيّره. فإذا كان الاثنان يسعيان وراء مشيئة الله، ويتركان روحه ينقيهما، سيتمكّنان معاً من القيام بتقييم هادئ.

(٩) - وقاما في الحال، ورجعا إلى أورشليم، فوجدا الرسل. إنّها المرحلة الأخيرة في الإرشاد الروحيّ الذي تعرضه علينا قصّة تلميذيّ عمّاوس. على الإرشاد أن يقود المسترشد إلى انخراط كامل في جسد المسيح أي الكنيسة، وكانت في تلك الأيام جماعة الأحد

عشر رسولاً ورفاقهم. إنه الانقلاب التام. فمن الابتعاد المحزن عن المدينة المقدسة وأحداثها المأساوية، يتمّ العبور تدريجياً إلى فرح المشاركة الجماعية بالرجاء الذي يحيينا، ثمّ إلى الرسالة. ويتمّ هذا العبور بوساطة المسيح الذي يفتح أذهاننا على ما جاء في الكتب، ويكسر خبز الشراكة. فالإرشاد الذي يسير على خطى القائم من بين الأموات يجد له صدّى وتثبيّتاً في الكنيسة. لا شكّ في أنّ هذا العرض السريع لا يدّعي ذكر جميع عناصر الإرشاد الروحيّ، وإنّما التي يعرضها إنجيل لوقا. ولعلّها تساعد المسترشد والمرشد على وضوح الرؤية في شأن الاسترشاد.





## الخاتمة

«فلينتبه مرشدو النفوس وليحسبوا أشدّ الحساب في هذه المسألة. إنّ الفاعل الأساسي، المرشد الأساسي الذي يحثّ النفس، ليسا هما بل الروح القدس الذي لا يتوانى أبداً عن الاعتناء بها. أمّا هما فأدوات لإرشادها إلى طريق الكمال من خلال شريعة الربّ والإيمان به بحسب الروح الذي يهبه الله لكلّ إنسان» (يوحنا الصليب).

فإنّ الفنون. هكذا سمّيت غالباً قيادة النفوس. ولا ننسَ أنّ الفنّان هنا هو الله نفسه، الخالق والمخلّص، عريس من يقودهم من سجن الخطيئة إلى أرض ميعاد اتّحاد الحبّ. والمرشد الروحيّ هو كأداة شقيّة؛ إنّّه هنا ليستعمله الروح القدس كي يساعد إخوته في مسيرتهم نحو الآب.

حين نقول مسيرة روحية، فهذا يعني أنّ هناك نقطة انطلاق ونقطة وصول. ويعود على المرشد، بعد لقاء المسترشد أو بعد عدّة لقاءات، تحديد نقطة الانطلاق، تحديد المكان الذي سينطلق المسترشد منه. بيد أنّ الطريق الواجب سلوكه للوصول يتطلّب عمليّة تمييزٍ يشارك فيها المرشد والمسترشد. إنّهما يميّزان معاً الطريق التي يرسمها الربّ، ويكتشفان معاً المعوّقات التي تعترض عمل الله، فيساعد المرشد النفس على أن تكون دوّماً في أتمّ الاستعداد لاستقبال هبات الله.

مَن يجتهد لعيش حياةٍ رُوحِيّةٍ ، عليه أن يتحمّل في أفكاره طوال حياته معركةً شرسةً وطاحنةً ؛ أعني معركةً رُوحِيّةً . والمرشد يساعد النفس كي ترى على الدوام بوضوح ، وتتمكّن من مراقبة الأفكار التي تدخل القلب وتميّزها ، فتدفع الآتية من الشرير ، وتستقبل الآتية من الله . المرشد يساعد قلب المسترشد كي يلتهب دوماً بالإيمان والرجاء والمحبة .

خلاصة القول : الإرشاد الروحيّ حجّ داخليّ طويل إلى منابع السعادة .

## المراجع

- الأب أوليفر بُرج أوليفيه، الإرشاد الروحيّ والحياة بالروح، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٦٠.
- Amadeo Cencini, *Éduquer, former, accompagner*, éditions des béatitudes, 2006, p. 112.
  - *Dictionnaire de spiritualité, Ascétique et mystique*, Beauchesne, Paris.
  - Dom André Louf, *La grâce peut d'avantage*, Desclée de Brouwer, Paris, 2005, p. 226.
  - Jean-Claude Sagne, *Accompagnement spirituel, et vie d'oraison*, éditions des béatitudes, 2008, p. 208.
  - Jordan Aumann, *Spiritual Theology*, The Faculty of Theology, University of Santo Tomas, Manila, 1989. p. 360.



## فهرس المحتويات

٥	..... ثلاث كلماتٍ وثلاثة معانٍ
٩	..... الحياة الروحية في مرحلة البلوغ
١٠	..... ثلاث طرائق للعلاقة بالشرية
١١	..... سمات الإرشاد الروحي
١٥	..... تاريخ الإرشاد وضرورته
١٥	..... يا أبت، قل لي كلمة!
١٦	..... ضرورة الإرشاد
١٧	..... الإرشاد الروحي ومعرفة الذات
٢٠	..... دواعي الإرشاد الروحي
٢١	..... الإرشاد والاعتراف
٢٥	..... كفاءات المرشد الروحي
٢٥	..... كفاءات المرشد التقنية
٢٥	..... متعلماً
٢٧	..... الفطنة
٢٩	..... الخبرة
٣٠	..... كفاءات المرشد الأخلاقية
٣١	..... التقوى
٣١	..... الحماسة لتقديس النفوس
٣٢	..... التواضع

٣٣	..... النزاهة
٣٥	..... واجبات المرشد الروحي
٣٥	..... حياة المرشد الداخليّة
٣٦	..... واجبات تقنيّة في الإرشاد
٤٠	..... واجبات رويّة في الإرشاد
٤٧	..... ما يجب أن يتمّع به المُسترشِد
٤٧	..... الصدق
٤٩	..... الطاعة
٥٠	..... المثابرة
٥١	..... السريّة
٥٣	..... إختيار المرشد الروحي
٥٣	..... ضرورة التّأثّي والتمييز
٥٥	..... بعض معايير الاختيار
٥٧	..... شروط تغيير المرشد
٥٨	..... طريقة تغيير المرشد
٦١	..... كيف يتمّ الإرشاد؟
٦١	..... الإصغاء والحوار
٦٤	..... بعض النصائح العمليّة
٦٧	..... تفادي بعض الفخاخ
٦٧	..... المرشد الروحيّ بشر وله ضعفه وأخطاؤه
٦٨	..... احتمال الخطأ
٧٠	..... الاستيعاب والتطلّب
٧١	..... حرّيّة المُرشِد والمُسترشِد
٧٢	..... العاطفة بين المُرشِد والمُسترشِد

٧٦	..... الخلط بين الإرشاد والمرافقة والنصيحة
٧٧	..... الإرشاد الروحي بالمراسلة
٧٩	..... الإرشاد الروحي - طريق القائمين من بين الأموات
٨٥	..... الخاتمة
٨٧	..... المراجع
٨٩	..... فهرس المحتويات





## صدر في سلسلة «الحياة الروحية»

- ١ - العليّة، في غمار الروح: الأب فرانك رامسبرغر اليسوعي.
- ٢ - المدعوّون في الكتاب المقدّس: الأب بولس إلياس اليسوعي.
- ٣ - الإنسان وفعل الروح: المطران أنطون - حميد موراني.
- ٤ - الروح القدس، مدرسة الإيمان: المطران جيرار ويك.
- ٥ - رياضات القديس إغناطيوس - بنيتها وجوهرها وديناميتها: الأب أولفر بُرج أولفييه اليسوعي.
- ٦ - مدخل إلى روحانيّة إغناطيوس دي لويولا: الأب فاضل سیداروس اليسوعي.
- ٧ - مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الكاهن: الخوري يوحنا الحلو.
- ٨ - إخواني جميع البشر: الأب رينه فوايوم.
- ٩ - صلّ لتحيّا: الأب رينه فوايوم.
- ١٠ - المشورات الإنجيليّة والنضج الإنسانيّ: لجان غبريل رانكي.
- ١١ - إله المستحيل، من الأمل إلى الرجاء: الأب هنري بولاد اليسوعي.
- ١٢ - روحانيّة شارل ده فوكو (الأخ شارل يسوع): الأخ ميلاد من إخوة يسوع الصغار.
- ١٣ - الطريق إلى الفصح: الأب بيتر هانس كُولفُنباخ اليسوعي.
- ١٤ - الأمّ تريزا في نفسنا وضميرنا: لُوك بَلْبُون.
- ١٥ - السعي إلى الأعماق - مراحل الحياة الروحيّة الثلاث: الأب هنري نُوروين.
- ١٦ - من النور إلى الحبّ - رياضة روحيّة في رحاب إنجيل يوحنا: الأب جان لاپلاس اليسوعي.
- ١٧ - الإنسان وسرّ الزمن: الأب هنري بولاد اليسوعي.
- ١٨ - الإرشاد الروحيّ والحياة بالروح: الأب أولفر بُرج أولفييه اليسوعي.
- ١٩ - هويّة الحياة الرهبانيّة: الأب فاضل سیداروس اليسوعي.
- ٢٠ - معنى البريّة لزماننا الحاضر - قراءة معاصرة في سيرة القديس

- أنطونيوس: الأب فاضل سيداروس اليسوعي.
- ٢١- خواطر في الطاعة الرهبانية: الأب فاضل سيداروس اليسوعي.
- ٢٢- خواطر في الفقر الاختياري: الأب فاضل سيداروس اليسوعي.
- ٢٣- خواطر في التبتل المكرّس: الأب فاضل سيداروس اليسوعي.
- ٢٤- الألم، هل من معنى؟ تأمل على خطي المزامير وأيوب ويسوع: الأب نادر ميشيل اليسوعي.
- ٢٥- سبع هبات من الروح القدس: الأب سامي حلاق اليسوعي.
- ٢٦- أُنحِبُنِي؟ تأملات من وحي الإنجيل: الأب نادر ميشيل اليسوعي.
- ٢٧- لتكون لهم الحياة. طريق التبتل من أجل المسيح: الأب نادر ميشيل اليسوعي.
- ٢٨- خواطر روحية في أعماق الإنسان: الأب فاضل سيداروس اليسوعي.
- ٢٩- بولس الرسول: روحانيته ورحلاته: مجموعة من المؤلفين.
- ٣٠- الصلاة حياة وحرية: الأب نادر ميشيل اليسوعي.
- ٣١- أحيوا أعداءكم... باركوا مضطهديكم - حياتنا بين العنف والوداعة: الأب نادر ميشيل اليسوعي.
- ٣٢- أبي أعطني كل شيء - تأمل في الأبوّة والبُنوّة: الأبوان اليسوعيان نادر ميشيل ورامي إلياس.
- ٣٣- وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَلْتَمَسُ - محطات في مسيرة الإيمان: الأب صلاح أبو جوده اليسوعي.
- ٣٤- من العزلة إلى الخصوبة - طريق الوحدة في حياتنا: الأب نادر ميشيل اليسوعي.
- ٣٥- الحياة الرهبانية - ولع بالله وولّه بالإنسان: الأب فاضل سيداروس اليسوعي.
- ٣٦- الصداقة فرح وحياة - من واقعنا الإنساني والروحي: الأب نادر ميشيل اليسوعي.
- ٣٧- أسس الحياة الروحية: الأب هنري بولاد والأب سامي حلاق اليسوعيان.

*Ils sont trois, Oui Il est Un ! Vers une spiritualité trinitaire: Par ~ ٣٨*

Jacques Masson, S.J.

٣٩ - السعي إلى النمو الروحيّ من خلال الكتاب المقدّس: الأب ويلفريد

ج. هارّينغتون الدومينيكيّ.

٤٠ - قواعد الإرشاد الرّوحيّ للمُرشد والمُسْتَرْشِد: الأب سامي حلاق

اليسوعيّ.

تصميم الغلاف : صفاء الفطايري  
الطباعة : تيڤوپرس

٢٠١٤ / ٧ / ١٥ - ١ - ٢٤٠٣



ISBN 2-7214-5474-9



9 782721 454744

Réf: RELVSP000040A

منشورات:

دار المشرق ش.م.م.

ص.ب. ١٦٦٧٧٨

الأشرفيّة، بيروت ٢١٥٠ - ١١٠٠ لبنان

التوزيع:

المكتبة الشرقية ش.م.ل.

ص.ب. ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

